

للأب يوحنا بلو والأب اغوسطينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الاول

القسم الاول





رخصة معارف ولاية بيروت الجليلة ٣٣

طبعة عاشرة بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين بيروت

سنة ١٨٩٠

مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَثَوْرَانِ

أَسَدٌ مَرَّةً خَرَجَ عَلَى ثَوْرَيْنِ . فَاجْتَمَعَا جَمِيعاً وَكَانَا [illegible] يُمَكِّنَانِهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا . فَانْفَرَدَ بِأَحَدِهِمَا وَخَدَعَهُ [illegible] إِنْ تَخَلَّى عَنْ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا افْتَرَقَا افْتَرَسَهُمَا جَمِيعاً

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَدِينَتَيْنِ . إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا . فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ مِنْهُمَا عَدُوٌّ . فَإِذَا افْتَرَقَا هَلَكَا جَمِيعاً

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ . فَنَظَرَ خَيَالَهُ فِي الْمَاءِ فَحَزِنَ لِدِقَّةِ قَوَائِمِهِ وَسُرَّ وَابْتَهَجَ لِعِظَمِ قُرُونِهِ وَكِبَرِهَا . وَفِي الْحَالِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّيَّادُونَ فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ فِي الْجَبَلِ وَعَبَرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لَحِقَهُ الصَّيَّادُونَ وَقَتَلُوهُ . فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : الْوَيْلُ لِي أَنَا الْمِسْكِينَ . الَّذِي ازْدَرَيْتُهُ هُوَ خَلَّصَنِي . وَالَّذِي رَجَوْتُهُ أَهْلَكَنِي

أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ

أَسَدٌ شَاخَ وَضَعُفَ . فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوشِ فَأَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ . فَتَمَارَضَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ الْمَغَايِرِ . وَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوشِ يَعُودُهُ افْتَرَسَهُ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَأَكَلَهُ . وَأَتَى الثَّعْلَبُ . وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّماً عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا سَيِّدَ

ٱلْوُحُوشِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ: مَالَكَ لَا تَدْخُلُ يَا أَبَا ٱلْحُصَيْنِ: فَقَالَ لَهُ ٱلثَّعْلَبُ: يَا سَيِّدُ. قَدْ كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى هٰذَا غَيْرَ أَنِّي أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَامٍ كَثِيرٍ (١) قَدْ دَخَلُوا. وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ أَمْرًا. إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُمَيِّزَهُ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ ٱصْطَحَبَا مَرَّةً عَلَى ٱلطَّرِيقِ. فَجَعَلَا يَتَشَاجَرَانِ بِالْكَلَامِ عَلَى ٱلْقُوَّةِ وَشِدَّةِ ٱلْبَأْسِ. فَجَعَلَ ٱلْأَسَدُ يُطْنِبُ فِي شِدَّتِهِ وَبَأْسِهِ. فَنَظَرَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى حَائِطٍ صُورَةَ رَجُلٍ وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا. فَضَحِكَ ٱلْإِنْسَانُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ: لَوْ أَنَّ ٱلسِّبَاعَ مُصَوِّرُونَ مِثْلَ بَنِي آدَمَ. لَمَا قَدَرَ ٱلْإِنْسَانُ أَنْ يَخْنُقَ سَبُعًا. بَلْ كَانَ ٱلسَّبُعُ يَخْنُقُ ٱلْإِنْسَانَ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكَّى ٱلْإِنْسَانُ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ

غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ ٱلصَّيَّادِينَ ٱنْهَزَمَ إِلَى مَغَارَةٍ. فَدَخَلَ إِلَيْهِ ٱلْأَسَدُ فَٱفْتَرَسَهُ فِيهَا. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: ٱلْوَيْلُ لِي أَنَا ٱلشَّقِيَّ لِأَنِّي هَرَبْتُ مِنَ ٱلنَّاسِ. فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا يَفِرُّونَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقَعُونَ فِي بَلَاءٍ أَعْظَمَ

---

(١) كثيرٍ نعت لمحذوفٍ يُقدّر بحسب المقام والمراد هنا خلق كثير

غَزَالٌ وَثَعْلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ. فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ، وَكَانَ ٱلْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ ٱلطُّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ. فَنَظَرَهُ ٱلثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ: أَسَأْتَ يَا أَخِي. إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وُرُودِكَ

مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ ٱلطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا دُونَ تَرَوٍّ فِيهِ. لَمْ يَأْمَنْ غَائِلَتَهُ

أَرْنَبٌ وَلَبُوَةٌ

أَرْنَبٌ مَرَّةً ٱجْتَازَتْ بِلَبُوَةٍ وَقَالَتْ لَهَا: أَنَا أُنْتِجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَأَنْتِ إِنَّمَا تَلِدِينَ فِي عُمْرِكِ كُلِّهِ فَذًّا أَوْ زَوًّا: فَقَالَتْ لَهَا ٱللَّبُوَةُ: صَدَقْتِ غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبُعٌ

مَغْزَاهُ

لَيْسَ ٱلِاعْتِمَادُ عَلَى ٱلْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى ٱلْمُفِيدِ

إِمْرَأَةٌ وَدَجَاجَةٌ

إِمْرَأَةٌ كَانَ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبِيضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْضَةَ فِضَّةٍ. فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنْ أَنَا كَثَّرْتُ عَلَفَهَا بَاضَتْ بَيْضَتَيْنِ. فَلَمَّا فَعَلَتْ ذٰلِكَ. ٱنْشَقَّتْ حَوْصَلَةُ ٱلدَّجَاجَةِ فَمَاتَتْ

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ يَخْسَرُونَ رَأْسَ مَالِهِمْ

بَعُوضَةٌ وَثَوْرٌ

بَعُوضَةٌ يَعْنِي نَامُوسَةً وَقَفَتْ عَلَى قَرْنِ ثَوْرٍ وَظَنَّتْ أَنَّهَا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَتْ لَهُ : إِنْ كُنْتُ قَدْ بَهَظْتُكَ فَأَعْلِمْنِي حَتَّى أَطِيرَ عَنْكَ : فَقَالَ لَهَا ٱلثَّوْرُ : يَا هٰذِهِ . مَا شَعَرْتُ بِنُزُولِكِ حَتَّى يُرِيحَنِي فِرَاقُكِ

مَغْزَاهُ

مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْرًا وَمَجْدًا وَهُوَ حَقِيرٌ يَلْقَى ٱلْهَوَانَ

بُسْتَانِيٌّ

بُسْتَانِيٌّ كَانَ يَوْمًا يُنَقِّي ٱلْبَقْلَ . فَقِيلَ لَهُ : لِمَاذَا ٱلْبَقْلُ ٱلْبَرِّيُّ بَهِيُّ ٱلْمَنْظَرِ وَهُوَ غَيْرُ مَخْدُومٍ وَمُنَبَّتٍ : فَقَالَ : لِأَنَّهُ تُرَبِّيهِ أُمُّهُ . وَغَيْرُهُ تُرَبِّيهِ رَبِيبَتُهُ

مَغْزَاهُ

أَنَّ تَرْبِيَةَ ٱلْأُمِّ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي وَلَدِهَا مِنْ غَيْرِهَا

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ . وَفِيمَا هُوَ فِي بَعْضِ ٱلطَّرِيقِ إِذْ أُنْتِجَتْ لَهُ مُهْرًا . فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ . ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ : تَرَانِي صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ ٱلْمَشْيَ . وَقَدْ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَنِي هٰهُنَا . فَإِنْ أَنْتَ أَخَذْتَنِي مَعَكَ وَرَبَّيْتَنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمَلْتُكَ عَلَى ظَهْرِي وَأَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَرْفُقَ بِمَنْ يَسْتَغِيثُونَنَا وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ

إِنْسَانٌ وَخِنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعَنْزًا وَخِنْزِيرًا . وَقَصَدَ بِهَا ٱلْمَدِينَةَ لِيَبِيعَ ٱلْجَمِيعَ . أَمَّا ٱلْكَبْشُ وَٱلْعَنْزُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْذِيَانِ ٱلْبَهِيمَةَ . وَأَمَّا ٱلْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرِضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْسَانُ : يَا شَرَّ ٱلْوُحُوشِ . مَالِي

أَرَى ٱلْكَبْشَ وَٱلْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ. وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُّ: فَقَالَ لَهُ ٱلْخِنْزِيرُ: كُلٌّ يَعْرِفُ شَأْنَهُ. أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ ٱلْكَبْشَ لِصُوفِهِ. وَٱلْعَنْزَ لِلَبَنِهَا. وَأَنَا ٱلشَّقِيُّ فَلَا صُوفَ لِي وَلَا لَبَنَ. فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وُصُولِي إِلَى ٱلْمَدِينَةِ إِلَّا إِرْسَالِي إِلَى ٱلْمَسْلَخِ

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلَّذِينَ يَغْرَقُونَ فِي ٱلْخَطَايَا ٱلَّتِي قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ تَسَابَقَا مَرَّةً. وَجَعَلَا ٱلْحَدَّ بَيْنَهُمَا ٱلْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ إِلَيْهِ. أَمَّا ٱلْأَرْنَبُ فَلِمَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ ٱلْخِفَّةِ فِي ٱلْجَرْيِ. تَوَانَى فِي ٱلطَّرِيقِ وَنَامَ. وَأَمَّا ٱلسُّلَحْفَاةُ فَلِعِلْمِهَا بِثِقَلِ حَرَكَتِهَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ وَلَا تَتَوَانَى فِي ٱلسَّيْرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ٱلْجَبَلِ قَبْلَهُ. وَعِنْدَمَا ٱسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ. وَجَدَهَا قَدْ سَبَقَتْ فَنَدِمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ ٱلنَّدَامَةُ

مَغْزَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْقَوِيِّ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَيُغْفِلَ أَمْرَهُ. فَيَفْشَلَ وَيَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ

ذِئْبٌ

ذِئْبٌ مَرَّةً ٱخْتَطَفَ خَنُوصًا. وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ لَقِيَهُ ٱلْأَسَدُ فَأَخَذَهُ مِنْهُ. فَقَالَ ٱلذِّئْبُ فِي نَفْسِهِ: لَا غَرْوَ أَنْ يَكُونَ ٱلْغَاصِبُ مَغْصُوبًا. فَإِنَّ ٱلْبَغْيَ مَصْرَعَهُ وَخِيمٌ

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَا يُكْتَسَبُ مِنَ ٱلظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ. وَإِنْ دَامَ فَلَا يَتَهَنَّأُ بِهِ. كَمَا وَرَدَ: مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَهَاوِشَ. أَذْهَبَهُ ٱللهُ فِي نَهَابِرَ

ٱلْعَوْسَجُ

أَلْعَوْسَجُ قَالَ مَرَّةً لِلْبُسْتَانِيِّ: لَوْ أَنَّ لِي مَنْ يَهْتَمُّ بِي وَيَنْصِبُنِي وَيَسْقِينِي وَيَخْدُمُنِي. لَاشْتَهَتْنِي ٱلْمُلُوكُ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَثَمَرِي. فَأَخَذَهُ وَغَرَسَهُ فِي أَجْوَدِ مَحَلٍّ فِي ٱلْبُسْتَانِ. وَصَارَ يَسْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دُفْعَتَيْنِ. فَنَشَأَ وَقَوِيَ. وَتَفَرَّعَتْ أَغْصَانُهُ عَلَى جَمِيعِ ٱلشَّجَرِ ٱلَّتِي حَوْلَهُ وَأَصَلَتْ عُرُوقُهُ فِي ٱلْأَرْضِ. حَتَّى ٱمْتَلَأَ ٱلْبُسْتَانُ مِنْهُ وَمِنْ كَثْرَةِ شَوْكِهِ. فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَرَّجَ فِيهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ يُجَاوِرُ إِنْسَانَ سُوءٍ فَإِنَّهُ كُلَّمَا أَكْرَمَهُ كَثُرَتْ شُرُورُهُ وَتَمَرَّدَ كَمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ: وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَ

صَبِيٌّ

صَبِيٌّ رَمَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ. وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ ٱلسِّبَاحَةَ. فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْغَرَقِ. فَٱسْتَعَانَ بِرَجُلٍ عَابِرٍ فِي ٱلطَّرِيقِ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَلُومُهُ عَلَى نُزُولِهِ إِلَى ٱلنَّهْرِ. فَقَالَ ٱلصَّبِيُّ: يَا هٰذَا. خَلِّصْنِي أَوَّلًا مِنَ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ لُمْنِي

مَغْزَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شِدَّةٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ أَوَّلًا ثُمَّ لُمْهُ

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ ٱلْجَرَادَ. فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً. فَمَدَّ يَدَهُ

لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ ٱلْجَرَادَ

مَغْزَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ ٱلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ. وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَتِهِ

حَمَامَةٌ

حَمَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ. فَأَقْبَلَتْ تَحُومُ حَوْلَ حَائِطٍ فِي طَلَبِ ٱلْمَاءِ. فَنَظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةَ صَحِيفَةٍ مَمْلُوَّةٍ مَاءً. فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ ٱلصُّورَةِ فَٱنْشَقَّتْ حَوْصَلَتُهَا. فَقَالَتِ: ٱلْوَيْلُ لِي. فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوَّ فِي ٱلصَّحِيحِ وَٱلْمُفْتَعَلِ. وَأُفَرِّقْ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ. حَتَّى جَلَبْتُ ٱلْمَنِيَّةَ لِرُوحِي بِيَدِي

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلْمُسْتَعْجِلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ تَبِعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ ٱلْحَزْمَ فِي ٱلتَّأَنِّي

حَدَّادٌ وَكَلْبٌ

حَدَّادٌ كَانَ لَهُ كَلْبٌ دَأْبُهُ ٱلتَّوَانِي وَٱلرُّقَادُ مَا دَامَ ٱلْحَدَّادُ عَامِلًا. فَإِذَا رَفَعَ ٱلْعَمَلَ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَأْكُلُوا ٱسْتَيْقَظَ ٱلْكَلْبُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْحَدَّادُ: يَا كَلْبَ ٱلسُّوءِ. مَا لِي أَرَى صَوْتَ ٱلْمَطَارِقِ ٱلَّتِي تُزَعْزِعُ ٱلْأَرْضَ لَا يُنَبِّهُكَ. وَحِسُّ ٱلْمَضْغِ ٱلْخَفِيِّ تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلْغَبِيَّ يَتَقَاعَسُ عَنِ ٱلْوَعْظِ. وَإِذَا سَمِعَ ٱللَّهْوَ ٱنْصَبَّ إِلَيْهِ

ٱلْبَطْنُ وَٱلرِّجْلَانِ

ٱلْبَطْنُ وَٱلرِّجْلَانِ تَخَاصَمُوا عَلَى أَيِّهِمْ يَحْمِلُ ٱلْجِسْمَ. فَقَالَتِ ٱلرِّجْلَانِ: نَحْنُ بِقُوَّتِنَا نَحْمِلُهُ: فَقَالَ ٱلْجَوْفُ: إِذَا أَنَا لَمْ أُغْذَ مِنَ ٱلطَّعَامِ. فَلَا تَسْتَطِيعَانِ ٱلْمَشْيَ. فَضْلًا عَنْ أَنْ تُقِلَّا شَيْئًا

مَغْزَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّ أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلْ

ٱلشَّمْسُ وَٱلرِّيحُ

ٱلشَّمْسُ وَٱلرِّيحُ تَخَاصَمَتَا عَلَى أَيِّهِمَا يَقْدِرُ أَنْ يُجَرِّدَ ٱلْإِنْسَانَ ثِيَابَهُ. فَٱشْتَدَّتِ ٱلرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفَتْ جِدًّا. فَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ كُلَّمَا تَزَايَدَ هُبُوبُهَا. ضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَٱلْتَفَّ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. فَلَمَّا ٱرْتَفَعَ ٱلنَّهَارُ وَٱشْتَدَّ ٱلْحَرُّ. خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ٱلِٱتِّضَاعُ وَدَمَاثَةُ ٱلْأَخْلَاقِ. نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانِ

دِيكَانِ كَانَا يَتَقَاتَلَانِ عَلَى قُهْقُورٍ. فَغَلَبَ أَحَدُهُمَا ٱلْآخَرَ. أَمَّا ٱلْمَغْلُوبُ فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَأْوَاهُ. وَأَمَّا ٱلْغَالِبُ فَصَعِدَ فَوْقَ ٱلسَّطْحِ. وَجَعَلَ يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ وَيَصِيحُ وَيَفْتَخِرُ. فَبَصُرَ بِهِ بَعْضُ ٱلْجَوَارِحِ فَٱنْقَضَّ إِلَيْهِ وَٱخْتَطَفَهُ

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلِٱفْتِخَارَ بِٱلْقُوَّةِ رُبَّمَا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا

ذِئَابٌ

ذِئَابٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ. فَاتَّفَقُوا عَلَى أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ ٱلْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى ٱلْجُلُودِ. فَمِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبُوا ٱنْفَلَقُوا. وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَرَبَهُمْ (١)

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ ٱلرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ

ٱلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ

ٱلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي ٱلْمَعِيشَةِ. فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ. فَمَرَّ بِهِمَا ٱلصَّيَّادُونَ يَوْمًا. فَمَا كَانَ مِنَ ٱلْخُطَّافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلِمَ. فَأَمَّا ٱلْوَزُّ فَأُدْرِكَ وَذُبِحَ

مَغْزَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ. أَحَاقَ بِهِ ٱلسُّوءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءُ كَوْكَبٍ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي ٱلْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً. فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا. فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذٰلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ. فَتَرَكَتْهُ. ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ سَمَكَةً. فَظَنَّتْهَا مِثْلَ ٱلَّذِي رَأَتْهُ بِٱلْأَمْسِ. فَتَرَكَتْهَا

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ. وَلَا يُوقِعَ أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ ٱلْآخَرِ

---

(١) أضمر الذئاب بضمير العقلاء لانهُ نزَّلها منزلتهم اذ هي كناية عنهم وقس على ذلك ما اشبههُ

نُخَبٌ
مِنَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمَعْرُوفِ بِأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ
حِكَايَةُ ٱلْمَلِكِ جَلِيْعَادَ
وَٱبْنِهِ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ وَسَالِفِ ٱلْعَصْرِ وَٱلْأَوَانِ مَلِكٌ فِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ. وَكَانَ مَلِكًا عَظِيمًا طَوِيلَ ٱلْقَامَةِ حَسَنَ ٱلصُّورَةِ. حَسَنَ ٱلْخُلْقِ كَرِيمَ ٱلطَّبَائِعِ مُحْسِنًا لِلْفُقَرَاءِ مُحِبًّا لِلرَّعِيَّةِ وَلِجَمِيعِ أَهْلِ دَوْلَتِهِ. وَكَانَ ٱسْمُهُ جَلِيْعَادَ. وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ فِي مَمْلَكَتِهِ ٱثْنَانِ وَسَبْعُونَ مَلِكًا. وَلِبِلَادِهِ ثَلْثُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ قَاضِيًا. وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ وَزِيرًا وَقَدْ جَعَلَ عَلَى كُلِّ عَشَرَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ رَئِيسًا. وَكَانَ أَكْبَرُ وُزَرَائِهِ شَخْصًا يُقَالُ لَهُ شَمَّاسٌ. وَكَانَ عُمْرُهُ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ حَسَنَ ٱلْخُلْقِ وَٱلطِّبَاعِ لَطِيفًا فِي كَلَامِهِ. لَبِيبًا فِي جَوَابِهِ. حَاذِقًا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. حَكِيمًا مُدَبِّرًا رَئِيسًا مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ. عَارِفًا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ. وَكَانَ ٱلْمَلِكُ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً وَيَمِيلُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَلَاغَةِ وَأَحْوَالِ ٱلسِّيَاسَةِ. وَلِمَا أَعْطَاهُ ٱللّٰهُ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَخَفْضِ ٱلْجَنَاحِ لِلرَّعِيَّةِ. وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ عَادِلًا فِي مَمْلَكَتِهِ حَافِظًا لِرَعِيَّتِهِ مُوَاصِلًا كَبِيرَهُمْ وَصَغِيرَهُمْ بِٱلْإِحْسَانِ. وَمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ ٱلرِّعَايَةِ وَٱلْعَطَايَا وَٱلْأَمَانِ وَٱلطُّمَأْنِينَةِ. وَمُخَفِّفًا لِلْخَرَاجِ عَنْ كَامِلِ ٱلرَّعِيَّةِ. وَكَانَ مُحِبًّا لَهُمْ كَبِيرًا وَصَغِيرًا. وَمُعَامِلًا لَهُمْ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَٱلشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ. وَأَتَى بِحُسْنِ سِيرَتِهِ بَيْنَهُمْ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَمَعَ هٰذَا كُلِّهِ لَمْ يَرْزُقْهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَلَدًا. فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ كَانَ مُضْطَجِعًا فِي

لَيْلَةٍ مِنَ ٱللَّيَالِي وَهُوَ مَشْغُولُ ٱلْفِكْرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ ٱلنَّوْمُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ يَصُبُّ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا بِنَارٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا كَانَ حَوْلَهَا مِنَ ٱلْأَشْجَارِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱنْتَبَهَ ٱلْمَلِكُ مِنْ مَنَامِهِ فَزِعًا وَٱسْتَدْعَى أَحَدَ غِلْمَانِهِ وَقَالَ لَهُ: ٱذْهَبْ بِسُرْعَةٍ وَٱئْتِنِي بِشَمَّاسٍ ٱلْوَزِيرِ عَاجِلًا: فَذَهَبَ ٱلْغُلَامُ إِلَى شَمَّاسٍ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ ٱلْمَلِكَ يَدْعُوكَ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ لِأَنَّهُ ٱنْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ مَرْعُوبًا. فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِتَحْضُرَ عِنْدَهُ عَاجِلًا: فَلَمَّا سَمِعَ شَمَّاسٌ كَلَامَ ٱلْغُلَامِ قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ. فَرَآهُ قَاعِدًا عَلَى فِرَاشِهِ. فَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيًا لَهُ بِدَوَامِ ٱلْعِزِّ وَٱلنِّعَمِ. وَقَالَ: لَا أَحْزَنَكَ ٱللهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. مَا ٱلَّذِي أَقْلَقَكَ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ وَمَا سَبَبُ طَلَبِكَ إِيَّايَ بِسُرْعَةٍ: فَأَذِنَ لَهُ ٱلْمَلِكُ بِٱلْجُلُوسِ فَجَلَسَ. وَصَارَ يَقُصُّ عَلَيْهِ مَا رَأَى قَائِلًا: إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هٰذِهِ مَنَامًا أَهَالَنِي. وَهُوَ كَأَنِّي أَصُبُّ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ. فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ. وَإِذَا بِنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنَ ٱلْأَشْجَارِ. فَفَزِعْتُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَخَذَنِي ٱلرُّعْبُ فَٱنْتَبَهْتُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَأَرْسَلْتُ دَعَوْتُكَ لِكَثْرَةِ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْبِيرِكَ لِلرُّؤْيَا. وَلِمَا أَعْلَمُهُ مِنِ ٱتِّسَاعِ عِلْمِكَ وَغَزَارَةِ فَهْمِكَ

فَأَطْرَقَ شَمَّاسٌ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: مَا رَأَيْتَ يَا شَمَّاسُ ٱصْدُقْنِي ٱلْخَبَرَ وَلَا تُخْفِ عَنِّي شَيْئًا: فَأَجَابَهُ شَمَّاسٌ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ: إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَوَّلَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ. وَأَمْرُ هٰذِهِ ٱلرُّؤْيَا يَؤُولُ إِلَى خَيْرٍ. وَهُوَ أَنَّ

ٱللّٰهَ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَدًا ذَكَرًا . يَكُونُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ عَنْكَ مِنْ بَعْدِ طَوِيلِ عُمْرِكَ . غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أُحِبُّ تَفْسِيرَهُ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ : فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا . وَزَادَ سُرُورُهُ وَذَهَبَ عَنْهُ فَزَعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ . وَقَالَ : إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ هٰذَا ٱلْمَنَامِ . فَكَمِّلْ لِي تَأْوِيلَهُ إِذَا جَاءَ ٱلْوَقْتُ ٱلْمُوَافِقُ لِكَمَالِ تَأْوِيلِهِ . لِأَجْلِ أَنْ يَكْمُلَ فَرَحِي . لِأَنِّي لَا أَبْتَغِي بِذٰلِكَ غَيْرَ رِضَى ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : فَلَمَّا رَأَى شَمَّاسٌ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَمِّمٌ عَلَى تَمَامِ تَفْسِيرِهِ . ٱحْتَجَّ لَهُ بِحُجَّةٍ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ دَعَا ٱلْمَلِكُ بِٱلْمُنَجِّمِينَ وَجَمِيعِ ٱلْمُعَبِّرِينَ لِلْأَحْلَامِ ٱلَّذِينَ فِي مَمْلَكَتِهِ . فَحَضَرُوا جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ ذٰلِكَ ٱلْمَنَامَ . وَقَالَ لَهُمْ : أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي بِصِحَّةِ تَفْسِيرِهِ : فَتَقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِذْنًا مِنَ ٱلْمَلِكِ بِٱلْكَلَامِ . فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ قَالَ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّ وَزِيرَكَ شَمَّاسًا لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْ تَفْسِيرِ ذٰلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ ٱحْتَشَمَ مِنْكَ وَسَكَّنَ رَوْعَكَ وَلَمْ يُظْهِرْ لَكَ جَمِيعَ ٱلتَّأْوِيلِ بِٱلْكُلِّيَّةِ . وَلٰكِنْ إِذَا أَذِنْتَ لِي بِٱلْكَلَامِ تَكَلَّمْتُ : فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : تَكَلَّمْ أَيُّهَا ٱلْمُفَسِّرُ بِلَا ٱحْتِشَامٍ وَٱصْدُقْ فِي كَلَامِكَ : فَقَالَ ٱلْمُفَسِّرُ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . أَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْكَ غُلَامٌ يَكُونُ وَارِثًا لِمُلْكِكَ عَنْكَ بَعْدَ طَوِيلِ حَيَاتِكَ : وَلٰكِنَّهُ لَا يَسِيرُ فِي ٱلرَّعِيَّةِ بِسِيرِكَ بَلْ يُخَالِفُ رُسُومَكَ وَيَجُورُ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَ ٱلْفَأْرَ مَعَ ٱلسِّنَّوْرِ فَٱسْتَعَاذَ بِٱللّٰهِ تَعَالَى . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ ٱلسِّنَّوْرِ وَٱلْفَأْرِ

(حكاية السنور والفار)

فَقَالَ ٱلْمُفَسِّرُ : أَطَالَ ٱللّٰهُ عُمْرَ ٱلْمَلِكِ . إِنَّ ٱلسِّنَّوْرَ وَهُوَ ٱلْقِطُّ . سَرَحَ لَيْلَةً

مِنَ ٱللَّيَالِي إِلَى شَيْءٍ يَفْتَرِسُهُ فِي بَعْضِ ٱلْغِيطَانِ. فَمَا وَجَدَ شَيْئًا. وَضَعُفَ مِنْ شِدَّةِ ٱلْبَرْدِ وَٱلْمَطَرِ ٱلَّذِي صَارَ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ فَأَخَذَ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ يَفُوزُ بِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ دَائِرٌ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ. إِذْ رَأَى وَكْرًا فِي أَسْفَلِ شَجَرَةٍ فَدَنَا مِنْهُ وَصَارَ يُشَمْشِمُ وَيُدَنْدِنُ حَتَّى أَحَسَّ بِأَنَّ دَاخِلَ ٱلْوَكْرِ فَأْرًا. فَحَاوَلَهُ وَهَمَّ بِٱلدُّخُولِ عَلَيْهِ لِكَيْ يَأْخُذَهُ. فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ ٱلْفَأْرُ أَعْطَاهُ قَفَاهُ وَصَارَ يَزْحَفُ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لِكَيْ يَسُدَّ بَابَ ٱلْوَكْرِ عَلَيْهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَارَ ٱلسِّنَّوْرُ يُصَوِّتُ صَوْتًا ضَعِيفًا وَيَقُولُ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا أَخِي. وَأَنَا مُلْتَجِئٌ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِي رَحْمَةً بِأَنْ تُقِرَّنِي فِي وَكْرِكَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ. لِأَنِّي ضَعِيفُ ٱلْحَالِ مِنْ كِبَرِ سِنِّي وَذَهَابِ قُوَّتِي. وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ. وَقَدْ تَوَغَّلْتُ فِي هٰذَا ٱلْغَيْطِ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ. وَكَمْ مَرَّةٍ دَعَوْتُ بِٱلْمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لِكَيْ أَسْتَرِيحَ وَهَا أَنَا عَلَى بَابِكَ طَرِيحٌ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَٱلْمَطَرِ. وَأَسْأَلُكَ بِٱللهِ مِنْ صَدَقَتِكَ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي وَتُدْخِلَنِي عِنْدَكَ وَتَأْوِيَنِي فِي دِهْلِيزِ وَكْرِكَ. لِأَنِّي غَرِيبٌ وَمِسْكِينٌ. وَقَدْ قِيلَ: مَنْ أَوَى بِمَنْزِلِهِ غَرِيبًا مِسْكِينًا كَانَ مَأْوَاهُ ٱلْجَنَّةَ يَوْمَ ٱلدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَقِيقٌ بِأَنْ تَكْسِبَ أَجْرِي. وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَبِيتَ عِنْدَكَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ إِلَى ٱلصَّبَاحِ ثُمَّ أَرُوحُ إِلَى حَالِ سَبِيلِي: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْفَأْرُ كَلَامَ ٱلسِّنَّوْرِ. قَالَ لَهُ: كَيْفَ تَدْخُلُ وَكْرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوٌّ بِٱلطَّبْعِ وَمَعَاشُكَ مِنْ لَحْمِي. وَأَخَافُ أَنْ تَغْدُرَ بِي. لِأَنَّ ذٰلِكَ مِنْ شِيمَتِكَ. لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَكَ. وَقَدْ قِيلَ: لَا يَنْبَغِي ٱلْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى ٱلْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى ٱلْحَطَبِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَأْمِنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ: عَدَاوَةُ ٱلطَّبْعِ كُلَّمَا ضَعُفَ صَاحِبُهَا كَانَتْ أَقْوَى: فَأَجَابَ ٱلسِّنَّوْرُ قَائِلًا بِأَخْمَدِ صَوْتٍ وَأَسْوَإِ حَالٍ:

إِنَّ ٱلَّذِي قُلْتَهُ مِنَ ٱلْمَوَاعِظِ. وَلَسْتُ أُنْكِرُ عَلَيْكَ. وَلٰكِنْ أَسْأَلُكَ ٱلصَّفْحَ عَمَّا مَضَى مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: مَنْ صَفَحَ عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ صَفَحَ خَالِقُهُ عَنْهُ. وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ عَدُوًّا لَكَ وَهَا أَنَا ٱلْيَوْمَ طَالِبٌ صَدَاقَتَكَ. وَقَدْ قِيلَ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَدُوُّكَ صَدِيقًا لَكَ فَٱفْعَلْ مَعَهُ خَيْرًا. وَأَنَا يَا أَخِي أُعْطِيكَ عَهْدَ ٱللهِ وَمِيثَاقَهُ أَنِّي لَا أَضُرُّكَ أَبَدًا. وَمَعَ هٰذَا لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذٰلِكَ فَثِقْ بِٱللهِ وَٱفْعَلْ خَيْرًا. وَٱقْبَلْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي: فَقَالَ ٱلْفَأْرُ: كَيْفَ أَقْبَلُ عَهْدَ مَنْ تَأَسَّسَتِ ٱلْعَدَاوَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. وَعَادَاتُهُ أَنْ يَغْدُرَ بِي. وَلَوْ كَانَتِ ٱلْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرَ ٱلدَّمِ لَهَانَ عَلَيَّ ذٰلِكَ. وَلٰكِنَّهَا عَدَاوَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ ٱلْأَرْوَاحِ. وَقَدْ قِيلَ مَنِ ٱسْتَأْمَنَ عَدُوَّهُ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِ ٱلْأَفْعَى: فَقَالَ ٱلسِّنَّوْرُ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ غَيْظًا: قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَضَعُفَتْ نَفْسِي. وَهَا أَنَا فِي ٱلنَّزْعِ وَعَنْ قَلِيلٍ أَمُوتُ عَلَى بَابِكَ وَيَبْقَى إِثْمِي عَلَيْكَ لِأَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى نَجَاتِي مِمَّا أَنَا فِيهِ. وَهٰذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ: فَحَصَلَ لِلْفَأْرِ خَوْفٌ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى. وَنَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ ٱلرَّحْمَةُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَنْ أَرَادَ ٱلْمَعُونَةَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ فَلْيَصْنَعْ مَعَهُ رَحْمَةً وَخَيْرًا. وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى ٱللهِ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ وَأُنْقِذُ هٰذَا ٱلسِّنَّوْرَ مِنْ هٰذَا ٱلْهَلَاكِ لِأَكْسِبَ أَجْرَهُ: فَعِنْدَ ذٰلِكَ خَرَجَ ٱلْفَأْرُ إِلَى ٱلسِّنَّوْرِ وَأَدْخَلَهُ فِي وَكْرِهِ سَحْبًا. فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنِ ٱشْتَدَّ وَٱسْتَرَاحَ وَتَعَافَى قَلِيلًا. فَصَارَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَعْفِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ وَقِلَّةِ أَصْدِقَائِهِ. فَصَارَ ٱلْفَأْرُ يَتَرَفَّقُ بِهِ وَيَأْخُذُ بِخَاطِرِهِ وَيَتَقَرَّبُ مِنْهُ وَيَسْعَى حَوْلَهُ. فَأَمَّا ٱلسِّنَّوْرُ فَإِنَّهُ زَحَفَ إِلَى ٱلْوَكْرِ حَتَّى مَلَكَ ٱلْمَخْرَجَ خَوْفًا أَنْ

يَخْرُجَ مِنْهُ ٱلْفَأْرُ. فَلَمَّا أَرَادَ ٱلْخُرُوجَ قَرُبَ مِنَ ٱلسِّنَّوْرِ عَلَى عَادَتِهِ. فَلَمَّا صَارَ قَرِيباً مِنْهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ بَيْنَ أَظَافِيرِهِ وَصَارَ يَعَضُّهُ وَيَنْتُرُهُ وَيَأْخُذُهُ فِي فَمِهِ وَيَرْفَعُهُ عَنِ ٱلْأَرْضِ وَيَرْمِيهِ وَيَجْرِي وَرَاءَهُ وَيَنْهَشُهُ وَيُعَذِّبُهُ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱسْتَغَاثَ ٱلْفَأْرُ وَطَلَبَ ٱلْخَلَاصَ مِنَ ٱللهِ. وَجَعَلَ يُعَاتِبُ ٱلسِّنَّوْرَ وَيَقُولُ: أَيْنَ ٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي عَاهَدْتَنِي بِهِ. وَأَيْنَ أَقْسَامُكَ ٱلَّتِي أَقْسَمْتَ بِهَا. أَهٰذَا جَزَائِي مِنْكَ. وَقَدْ أَدْخَلْتُكَ وَكْرِي وَٱسْتَأْمَنْتُكَ عَلَى نَفْسِي. وَلٰكِنْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: مَنْ أَخَذَ عَهْداً مِنْ عَدُوِّهِ لَا يَبْتَغِي لِنَفْسِهِ نَجَاةً. وَمَنْ قَالَ: مَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِعَدُوِّهِ كَانَ مُسْتَوْجِباً لِنَفْسِهِ ٱلْهَلَاكَ. وَلٰكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى خَالِقِي فَهُوَ ٱلَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْكَ: فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ مَعَ ٱلسِّنَّوْرِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِ وَيَفْتَرِسَهُ. إِذَا بِرَجُلٍ صَيَّادٍ مَعَهُ كِلَابٌ جَارِحَةٌ مُعَوَّدَةٌ عَلَى ٱلصَّيْدِ. فَمَرَّ مِنْهَا كَلْبٌ عَلَى بَابِ ٱلْوَكْرِ فَسَمِعَ فِيهِ مَعْرَكَةً كَبِيرَةً فَظَنَّ أَنَّ فِيهِ ثَعْلَباً يَفْتَرِسُ شَيْئاً. فَٱنْدَفَعَ ٱلْكَلْبُ مُنْحَدِراً لِيَصْطَادَهُ فَصَادَفَ ٱلسِّنَّوْرَ فَجَذَبَهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا وَقَعَ ٱلسِّنَّوْرُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْكَلْبِ ٱلْتَهَى بِنَفْسِهِ وَأَطْلَقَ ٱلْفَأْرَ حَيّاً لَيْسَ فِيهِ جُرْحٌ. وَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِهِ ٱلْكَلْبُ ٱلْجَارِحُ بَعْدَ أَنْ قَطَّعَ عَصَبَهُ وَرَمَاهُ مَيْتاً. وَصَدَقَ فِي حَقِّهِمَا قَوْلُ مَنْ قَالَ:

مَنْ رَحِمَ رُحِمَ آجِلاً. وَمَنْ ظَلَمَ ظُلِمَ عَاجِلاً

هٰذَا مَا جَرَى لَهُمَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. فَلِذٰلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْقُضَ عَهْدَ مَنِ ٱسْتَأْمَنَهُ. وَمَنْ غَدَرَ وَخَانَ يَحْصُلُ لَهُ مِثْلُ مَا حَصَلَ لِلسِّنَّوْرِ. لِأَنَّهُ كَمَا يَدِينُ ٱلْفَتَى يُدَانُ وَمَنْ يَرْجِعْ إِلَى ٱلْخَيْرِ يَنَلِ ٱلثَّوَابَ. وَلٰكِنْ لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْكَ ذٰلِكَ. لِأَنَّ وَلَدَكَ بَعْدَ ظُلْمِهِ وَعَسْفِهِ رُبَّمَا يَعُودُ إِلَى

حُسْنِ سِيرَتِكَ. وَإِنَّ هٰذَا ٱلْعَالِمَ ٱلَّذِي هُوَ وَزِيرُكَ شَمَّاسٌ أُحِبُّ أَنْ لَا يَكْتُمَ عَلَيْكَ شَيْئًا فِيمَا رَمَزَ إِلَيْكَ. وَذٰلِكَ رُشْدٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ خَوْفًا أَوْسَعُهُمْ عِلْمًا وَأَغْبَطُهُمْ خَيْرًا: فَأَذْعَنَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِإِكْرَامٍ جَزِيلٍ. ثُمَّ صَرَفَهُمْ وَقَامَ وَدَخَلَ مَكَانَهُ وَصَارَ يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ. وَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى ٱللهِ ٱلَّذِي فِي يَدِهِ جَمِيعُ ٱلْأُمُورِ. فَلَمْ يَمْضِ زَمَانٌ كَثِيرٌ إِلَّا أَتَتْهُ ٱلْبُشْرَى بِتَحْقِيقِ أَمَلِهِ فَقَالَ: صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ: ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا بِبَعْضِ ٱلْغِلْمَانِ وَأَرْسَلَهُ لِيُحْضِرَ شَمَّاسًا. فَلَمَّا حَدَّثَهُ ٱلْمَلِكُ بِمَا صَارَ مِنْ حَمْلِ زَوْجَتِهِ وَهُوَ فَرْحَانُ قَائِلًا: قَدْ صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَٱتَّصَلَ رَجَائِي فَلَعَلَّ ذٰلِكَ ٱلْحَمْلَ يَكُونُ وَلَدًا ذَكَرًا وَيَكُونُ وَارِثًا لِمُلْكِي. فَمَا تَقُولُ يَا شَمَّاسُ فِي ذٰلِكَ: فَسَكَتَ شَمَّاسٌ وَلَمْ يَنْطِقْ بِجَوَابٍ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: مَا لِي أَرَاكَ لَا تَفْرَحُ لِفَرَحِي وَلَا تَرُدُّ لِي جَوَابًا. يَا تُرَى هَلْ أَنْتَ كَارِهٌ لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ يَا شَمَّاسُ: فَسَجَدَ عِنْدَ ذٰلِكَ شَمَّاسٌ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَطَالَ ٱللهُ عُمْرَكَ. مَا ٱلَّذِي يَنْفَعُ ٱلْمُسْتَظِلَّ بِشَجَرَةٍ إِذَا كَانَتِ ٱلنَّارُ تَخْرُجُ مِنْهَا. وَمَا لَذَّةُ شَارِبِ ٱلْخَمْرِ ٱلصَّافِي إِذَا حَصَلَ لَهُ بِهَا ٱلشَّرَقُ. وَمَا فَائِدَةُ ٱلنَّاهِلِ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ ٱلْبَارِدِ إِذَا غَرِقَ فِيهِ. وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ لِلّٰهِ وَلَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. وَلٰكِنْ قَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ: ٱلْمُسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ. وَٱلَّذِي فِي ٱلْحَرْبِ حَتَّى يَقْهَرَ عَدُوَّهُ. وَٱلْمَرْأَةُ ٱلْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا. فَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. أَنَّ ٱلْمُتَكَلِّمَ بِشَأْنِ شَيْءٍ لَمْ يَتِمَّ مِثْلُ ٱلنَّاسِكِ ٱلْمَدْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ ٱلسَّمْنُ: فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: وَكَيْفَ حِكَايَةُ ٱلنَّاسِكِ وَمَا جَرَى لَهُ

(حكاية الناسك وما جرى له)

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ بَعْضِ ٱلْمُدُنِ. وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جِرَايَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذٰلِكَ ٱلشَّرِيفِ. وَهِيَ: ثَلٰثَةُ أَرْغِفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ. وَكَانَ ٱلسَّمْنُ فِي ذٰلِكَ ٱلْبَلَدِ غَالِيًا. وَكَانَ ٱلنَّاسِكُ يَجْمَعُ ٱلَّذِي يَجِيءُ إِلَيْهِ فِي جَرَّةٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَعَلَّقَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ خَوْفًا وَٱحْتِرَاسًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ ٱللَّيَالِي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ. إِذْ عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ ٱلسَّمْنِ وَغَلَائِهِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: يَنْبَغِي أَنْ أَبِيعَ هٰذَا ٱلسَّمْنَ ٱلَّذِي عِنْدِي جَمِيعَهُ. وَأَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ نَعْجَةً وَأُشَارِكَ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ ٱلْفَلَّاحِينَ. فَإِنَّهَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَثَانِيَ عَامٍ تَلِدُ أُنْثَى وَذَكَرًا. وَلَا تَزَالُ هٰذِهِ ٱلْغَنَمُ تَتَوَالَدُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا حَتَّى تَصِيرَ شَيْئًا كَثِيرًا. وَأَقْسِمُ حِصَّتِي بَعْدَ ذٰلِكَ وَأَبِيعُ مَا شِئْتُ. وَأَشْتَرِي ٱلْأَرْضَ ٱلْفُلَانِيَّةَ وَأُنْشِئُ فِيهَا غَيْطًا وَأَبْنِي فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا وَأَقْنِي ثِيَابًا وَمَلْبُوسًا. وَأَشْتَرِي عَبِيدًا وَجَوَارِيَ وَأَتَزَوَّجُ بِنْتَ ٱلتَّاجِرِ ٱلْفُلَانِيِّ وَأَعْمَلُ عُرْسًا مَا صَارَ مِثْلُهُ قَطُّ. وَأَذْبَحُ ٱلذَّبَائِحَ وَأَعْمَلُ ٱلْأَطْعِمَةَ ٱلْفَاخِرَةَ وَٱلْحَلْوَيَاتِ ٱلْمُلَبَّسَاتِ وَغَيْرَهَا. وَأَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ ٱلْمَلَاعِبِ وَأَرْبَابَ ٱلْفُنُونِ وَآلَاتِ ٱلسَّمَاعِ. وَأُجَهِّزُ ٱلْأَزْهَارَ وَٱلْمَشْمُومَاتِ وَأَصْنَافَ ٱلرَّيَاحِينِ وَأَدْعُو ٱلْأَغْنِيَاءَ وَٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْعُلَمَاءَ وَٱلرُّؤَسَاءَ وَأَرْبَابَ ٱلدَّوْلَةِ. وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا أَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ. وَأُجَهِّزُ أَنْوَاعَ ٱلْمَآكِلِ وَٱلْمَشَارِبِ. وَأُطْلِقُ مُنَادِيًا يُنَادِي. مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا يَنَالُهُ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَحْمِلُ زَوْجَتِي وَتَلِدُ غُلَامًا ذَكَرًا. فَأَفْرَحُ بِهِ وَأَعْمَلُ

لَهُ ٱلْوَلَائِمَ وَأُرَبِّيهِ فِي ٱلدَّلَالِ. وَأُعَلِّمُهُ ٱلْحِكْمَةَ وَٱلْأَدَبَ وَٱلْحِسَابَ وَأُشْهِرُ ٱسْمَهُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ. وَأَفْتَخِرُ بِهِ عِنْدَ أَرْبَابِ ٱلْمَجَالِسِ. وَآمُرُهُ بِٱلْمَعْرُوفِ فَلَا يُخَالِفُنِي وَأَنْهَاهُ عَنِ ٱلْفَاحِشَةِ وَٱلْمُنْكَرِ. وَأُوصِيهِ بِٱلتَّقْوَى وَفِعْلِ ٱلْخَيْرِ. وَأُعْطِيهِ ٱلْعَطَايَا ٱلْحَسَنَةَ ٱلسَّنِيَّةَ. فَإِنْ رَأَيْتُهُ لَزِمَ ٱلطَّاعَةَ زِدْتُهُ عَطَايَا صَالِحَةً. وَإِنْ رَأَيْتُهُ مَالَ إِلَى ٱلْمَعْصِيَةِ أَنْزِلُ عَلَيْهِ بِهٰذِهِ ٱلْعَصَا وَرَفَعَهَا لِيَضْرِبَ بِهَا وَلَدَهُ فَأَصَابَتْ جَرَّةَ ٱلسَّمْنِ ٱلَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ فَكَسَرَتْهَا. فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَزَلَتْ بِشُقَافَتِهَا عَلَيْهِ وَسَاحَ ٱلسَّمْنُ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى ثِيَابِهِ وَلِحْيَتِهِ وَصَارَ عِبْرَةً. فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ

فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ. وَنِعْمَ ٱلْوَزِيرُ أَنْتَ. لِكَوْنِكَ بِٱلصِّدْقِ نَطَقْتَ. وَبِٱلْخَيْرِ أَشَرْتَ. وَلَقَدْ صَارَتْ رُتْبَتُكَ عِنْدِي عَلَى مَا تُحِبُّ وَلَمْ تَزَلْ مَقْبُولًا: فَسَجَدَ شَمَّاسٌ لِلّٰهِ وَلِلْمَلِكِ وَدَعَا لَهُ بِدَوَامِ ٱلنِّعَمِ وَقَالَ لَهُ: أَدَامَ ٱللّٰهُ أَيَّامَكَ وَأَعْلَى شَأْنَكَ. وَٱعْلَمْ أَنِّي لَسْتُ أَكْتُمُ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي ٱلسِّرِّ وَلَا فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَرِضَاكَ رِضَايَ وَغَضَبُكَ غَضَبِي وَلَيْسَ لِي فَرَحٌ إِلَّا بِفَرَحِكَ وَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَبِيتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ. لِأَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى رَزَقَنِي كُلَّ خَيْرٍ بِإِكْرَامِكَ إِيَّايَ. فَأَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَحْرُسَكَ بِمَلَائِكَتِهِ. وَيُحْسِنَ ثَوَابَكَ عِنْدَ لِقَائِهِ: فَٱبْتَهَجَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ. ثُمَّ قَامَ شَمَّاسٌ وَٱنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ وَضَعَتْ زَوْجَةُ ٱلْمَلِكِ غُلَامًا ذَكَرًا. فَنَهَضَ ٱلْمُبَشِّرُونَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ فَفَرِحَ بِذٰلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا. وَشَكَرَ ٱللّٰهَ شُكْرًا جَزِيلًا وَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي رَزَقَنِي وَلَدًا بَعْدَ ٱلْيَأْسِ وَهُوَ ٱلشَّفُوقُ ٱلرَّؤُوفُ عَلَى

عِبَادِهِ: ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى سَائِرِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ لِيُعْلِمَهُمْ بِٱلْخَبَرِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَحَضَرَ لَهُ ٱلْأُمَرَاءُ وَٱلرُّؤَسَاءُ وَٱلْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلَّذِينَ تَحْتَ أَمْرِهِ. هٰذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَلِكِ

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَلَدِهِ. فَإِنَّهُ قَدْ دَقَّتْ لَهُ ٱلْبَشَائِرُ وَٱلْأَفْرَاحُ فِي سَائِرِ ٱلْمَمْلَكَةِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُهَا إِلَى ٱلْحُضُورِ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَقْطَارِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُ ٱلْعُلُومِ وَٱلْفَلْسَفَةِ وَٱلْأُدَبَاءُ وَٱلْحُكَمَاءُ وَدَخَلُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى ٱلْمَلِكِ. وَوَصَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى ٱلْوُزَرَاءِ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْكِبَارِ ٱلَّذِينَ رَئِيسُهُمْ شَمَّاسٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ فِي شَأْنِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ. فَٱبْتَدَأَ رَئِيسُهُمُ ٱلْوَزِيرُ شَمَّاسٌ. وَٱسْتَأْذَنَ ٱلْمَلِكَ فِي ٱلْكَلَامِ. فَأَذِنَ لَهُ

فَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَنْشَأَنَا مِنَ ٱلْعَدَمِ إِلَى ٱلْوُجُودِ ٱلْمُنْعِمِ عَلَى عِبَادِهِ ٱلْمُلُوكِ أَهْلِ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ. وَبِمَا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِرَعِيَّتِهِمْ مِنَ ٱلرِّزْقِ وَخُصُوصًا مَلِكَنَا ٱلَّذِي أَحْيَى بِهِ مَوَاتَ بِلَادِنَا بِمَا أَسْدَاهُ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا مِنَ ٱلنِّعَمِ. وَرَزَقَنَا مِنْ سَلَامَتِهِ بِرَخَاءِ ٱلْعَيْشِ وَٱلطُّمَأْنِينَةِ وَٱلْعَدْلِ. فَأَيُّ مَلِكٍ يَصْنَعُ بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مَا صَنَعَ ٱلْمَلِكُ بِنَا مِنَ ٱلْقِيَامِ بِمَصَالِحِنَا وَأَدَاءِ حُقُوقِنَا وَإِنْصَافِ بَعْضِنَا مِنْ بَعْضٍ وَقِلَّةِ ٱلْغَفْلَةِ عَنَّا وَرَدِّ مَظَالِمِنَا. وَمِنْ فَضْلِ ٱللّٰهِ عَلَى ٱلنَّاسِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُهُمْ مُتَعَهِّدًا لِأُمُورِهِمْ. وَحَافِظًا لَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ. لِأَنَّ ٱلْعَدُوَّ غَايَةُ قَصْدِهِ أَنْ يَقْهَرَ عَدُوَّهُ وَأَنْ يَمْلِكَهُ فِي يَدِهِ. وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يُقَدِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى ٱلْمُلُوكِ خَدَمًا فَيَصِيرُونَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ ٱلْعَبِيدِ. لِأَجْلِ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُمْ

ٱلْأَعْدَاءِ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَمْ يَطَأْ بِلَادَنَا أَعْدَاءٌ فِي زَمَنِ مَلِكِنَا . لِهٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْكُبْرَى وَٱلسَّعَادَةِ ٱلْعُظْمَى ٱلَّتِي لَمْ يَقْدِرِ ٱلْوَاصِفُونَ عَلَى وَصْفِهَا وَإِنَّمَا هِيَ فَوْقَ ذٰلِكَ . وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ حَقِيقٌ بِأَنَّكَ أَهْلٌ لِهٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْعَظِيمَةِ وَنَحْنُ تَحْتَ كَنَفِكَ وَفِي ظِلِّ جَنَاحِكَ أَحْسَنَ ٱللهُ ثَوَابَكَ وَأَدَامَ بَقَاءَكَ . لِأَنَّنَا كُنَّا قَبْلَ ذٰلِكَ نَجِدُّ فِي ٱلطَّلَبِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِٱلْإِجَابَةِ وَيُبْقِيكَ لَنَا وَيُعْطِيكَ وَلَدًا صَالِحًا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ وَٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ مِنَّا وَٱسْتَجَابَ دُعَاءَنَا وَأَتَانَا بِٱلْفَرَجِ ٱلْقَرِيبِ مِثْلَمَا أَتَى لِبَعْضِ ٱلسَّمَكِ فِي غَدِيرِ ٱلْمَاءِ : فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ ٱلسَّمَكِ وَكَيْفَ ذٰلِكَ

(حكاية السمك وما جرى له)

فَقَالَ شَمَّاسٌ : اعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَمَاكِنِ غَدِيرُ مَاءٍ . وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ . فَعَرَضَ لِذٰلِكَ ٱلْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ مَاؤُهُ . وَصَارَ يَنْضَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْمَاءِ مَا يُسْعِفُهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ . وَقَالَتْ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا . وَكَيْفَ نَحْتَالُ وَمَنْ نَسْتَشِيرُ فِي نَجَاتِنَا : فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرَهُنَّ عَقْلًا وَسِنًّا وَقَالَتْ : مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي خَلَاصِنَا إِلَّا ٱلطَّلَبُ مِنَ ٱللهِ . وَلٰكِنْ نَلْتَمِسُ ٱلرَّأْيَ مِنَ ٱلسَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا فَهَلُمَّنَ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ ٱلْكَلَامِ : فَٱسْتَحْسَنَّ رَأْيَهَا وَجِئْنَ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى ٱلسَّرَطَانِ . فَوَجَدْنَهُ رَابِضًا فِي مَوْضِعِهِ . وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبَرٌ مِمَّا هُنَّ فِيهِ . فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ : يَا سَيِّدَنَا . أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا . وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَئِيسُنَا : فَأَجَابَهُنَّ ٱلسَّرَطَانُ قَائِلًا : وَعَلَيْكُنَّ ٱلسَّلَامُ . مَا ٱلَّذِي بِكُنَّ . وَمَا تُرِدْنَ : فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ قِصَّتَهُنَّ

وَمَا دَهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقْصِ ٱلْمَاءِ وَأَنَّهُ مَتَى نَشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ ٱلْهَلَاكُ . ثُمَّ قُلْنَ لَهُ : وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتٍ رَأْيَكَ وَمَا يَكُونُ فِيهِ ٱلنَّجَاةُ . لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا وَأَعْرَفُ مِنَّا : فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَطْرَقَ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : لَا شَكَّ أَنَّ عِنْدَكُنَّ نَقْصَ عَقْلٍ لِيَأْسِكُنَّ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ تَعَالَى وَكَفَالَتِهِ بِأَرْزَاقِ خَلَائِقِهِ جَمِيعًا . أَلَمْ تَعْلَمْنَ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ . وَجَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ عُمْرًا مَحْدُودًا وَرِزْقًا مَقْسُومًا بِقُدْرَتِهِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ . فَكَيْفَ نَحْمِلُ هَمَّ شَيْءٍ هُوَ فِي ٱلْغَيْبِ مَسْطُورٌ . وَٱلرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنَ ٱلطَّلَبِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى . فَيَنْبَغِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يُصْلِحُ سَرِيرَتَهُ مَعَ رَبِّهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ . وَيَدْعُو ٱللهَ أَنْ يُخَلِّصَنَا وَيُنْقِذَنَا مِنَ ٱلشَّدَائِدِ . لِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ رَجَاءَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ . وَلَا يَرُدُّ طَلَبَ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ . فَإِذَا أَصْلَحْنَا أَحْوَالَنَا ٱسْتَقَامَتْ أُمُورُنَا . وَحَصَلَ لَنَا كُلُّ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ . وَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَغَمَرَ أَرْضَنَا بِدُعَاءِ صَالِحِنَا فَلَا يَهْدِمُ ٱلْخَيْرَ ٱلَّذِي بَنَاهُ . فَٱلرَّأْيُ أَنْ نَصْبِرَ وَنَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ ٱللهُ بِنَا . فَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَوْتٌ عَلَى ٱلْعَادَةِ ٱسْتَرَحْنَا . وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَا يُوجِبُ ٱلْهَرَبَ هَرَبْنَا وَرَحَلْنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ ٱللهُ : فَأَجَابَ ٱلسَّمَكُ جَمِيعُهُ مِنْ فَمٍ وَاحِدٍ : صَدَقْتَ يَا سَيِّدَنَا . جَزَاكَ ٱللهُ عَنَّا خَيْرًا : وَتَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَمَا مَضَى إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَأَتَاهُنَّ ٱللهُ بِمَطَرٍ شَدِيدٍ حَتَّى مَلَأَ مَحَلَّ ٱلْغَدِيرِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوَّلًا

وَهٰكَذَا نَحْنُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ كُنَّا يَائِسِينَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ . وَحَيْثُ مَنَّ ٱللهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ بِهٰذَا ٱلْوَلَدِ ٱلْمُبَارَكِ . فَنَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا

مُبَارَكًا . وَأَنْ يُقِرَّ بِهِ عَيْنَكَ وَيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً . وَيَرْزُقَنَا مِنْهُ مَا رَزَقْنَاهُ مِنْكَ . فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ مَنْ قَصَدَهُ .وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى ٱلْمَلِكِ . فَأَجَابَهُ ٱلْمَلِكُ قَائِلًا : وَعَلَيْكَ ٱلسَّلَامُ : فَقَالَ ذٰلِكَ ٱلْوَزِيرُ : إِنَّ ٱلْمَلِكَ لَا يُسَمَّى مَلِكًا إِلَّا إِذَا أَعْطَى وَعَدَلَ . وَحَكَمَ وَأَكْرَمَ وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ ٱلْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ . وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَحَقَنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ ٱلْأَذَى عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِعَدَمِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْ فُقَرَائِهِمْ وَإِسْعَافِ أَعْلَاهُمْ وَأَدْنَاهُمْ وَإِعْطَائِهِمْ ٱلْحَقَّ ٱلْوَاجِبَ لَهُمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ مُمْتَثِلِينَ لِأَمْرِهِ . لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ ٱلْمَلِكَ ٱلَّذِي بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ ٱلرَّعِيَّةِ مُكْتَسِبًا مِنَ ٱلدُّنْيَا عَلَاءَهَا وَمِنَ ٱلْآخِرَةِ شَرَفَهَا وَرِضَى خَالِقِهَا . وَنَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْعَبِيدِ مُعْتَرِفُونَ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ عِنْدَكَ . كَمَا قِيلَ : خَيْرُ ٱلْأُمُورِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُ ٱلرَّعِيَّةِ عَادِلًا . وَحَكِيمُهَا مَاهِرًا . وَعَالِمُهَا خَبِيرًا عَامِلًا بِعِلْمِهِ . وَنَحْنُ ٱلْآنَ مُتَنَعِّمُونَ بِهٰذِهِ ٱلسَّعَادَةِ . وَكُنَّا قَبْلَ ذٰلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي ٱلْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ . وَلٰكِنَّ ٱللهَ جَلَّ ٱسْمُهُ لَمْ يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقَبِلَ دُعَاءَكَ لِحُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ . فَنِعْمَ ٱلرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ . وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَٱلْحَيَّةِ : فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : كَيْفَ ذٰلِكَ وَمَا حِكَايَةُ ٱلْغُرَابِ وَٱلْحَيَّةِ

(حكاية الغراب والحية)

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ هُوَ

وَزَوْجَتَهُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ إِلَى أَنْ بَلَغَا زَمَانَ تَفْرِيخِهِمَا. وَكَانَ زَمَنَ ٱلْقَيْظِ. فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ وَكْرِهَا. وَقَصَدَتْ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةَ فَتَعَلَّقَتْ بِفُرُوعِهَا إِلَى أَنْ صَعِدَتْ إِلَى عُشِّ ٱلْغُرَابِ وَرَبَضَتْ فِيهِ. وَمَكَثَتْ مُدَّةَ أَيَّامِ ٱلصَّيْفِ. وَصَارَ ٱلْغُرَابُ مَطْرُودًا لَا يَجِدُ لَهُ فُرْصَةً وَلَا مَوْضِعًا يَرْقُدُ فِيهِ. فَلَمَّا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُ ٱلْحَرِّ ذَهَبَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا. فَقَالَ ٱلْغُرَابُ لِزَوْجَتِهِ: نَشْكُرُ ٱللّٰهَ تَعَالَى ٱلَّذِي نَجَّانَا وَخَلَّصَنَا مِنْ هٰذِهِ ٱلْآفَةِ وَلَوْ كُنَّا حُرِمْنَا مِنَ ٱلزَّادِ فِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ. لِأَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ رَجَاءَنَا. فَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ ٱلسَّلَامَةِ وَصِحَّةِ أَبْدَانِنَا. وَلَيْسَ لَنَا ٱتِّكَالٌ إِلَّا عَلَيْهِ. وَإِذَا أَرَادَ ٱللّٰهُ وَعِشْنَا إِلَى ٱلْعَامِ ٱلْقَابِلِ عَوَّضَ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا نِتَاجَنَا: فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفْرِيخِهِمَا. خَرَجَتِ ٱلْحَيَّةُ مِنْ مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتِ ٱلشَّجَرَةَ. فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا. وَهِيَ قَاصِدَةٌ عُشَّ ٱلْغُرَابِ عَلَى ٱلْعَادَةِ. وَإِذَا بِحِدَأَةٍ قَدِ ٱنْقَضَّتْ عَلَيْهَا وَضَرَبَتْهَا فِي رَأْسِهَا فَخَدَشَتْهَا. فَعِنْدَ ذٰلِكَ سَقَطَتِ ٱلْحَيَّةُ عَلَى ٱلْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا. وَطَلَعَ عَلَيْهَا ٱلنَّمْلُ فَأَكَلَهَا. وَصَارَ ٱلْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي سَلَامَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ. وَفَرَّخَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَا ٱللّٰهَ عَلَى سَلَامَتِهِمَا وَعَلَى حُصُولِ ٱلْأَوْلَادِ. وَنَحْنُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. يَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِهٰذَا ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلسَّعِيدِ. بَعْدَ ٱلْيَأْسِ وَقَطْعِ ٱلرَّجَاءِ. أَحْسَنَ ٱللّٰهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ أَمْرِكَ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلثَّالِثُ وَقَالَ: أَبْشِرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَادِلُ بِٱلْخَيْرِ ٱلْعَاجِلِ وَٱلثَّوَابِ ٱلْآجِلِ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ تُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ. وَٱللّٰهُ تَعَالَى قَسَمَ لَكَ ٱلْمَحَبَّةَ. وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ. فَلَهُ ٱلشُّكْرُ وَلَهُ

الْحَمْدُ مِنَّا وَمِنْكَ لِكَيْ يَزِيدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ. وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى. وَإِنَّهُ هُوَ الْمُعْطِي. وَإِنَّ كُلَّ خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَيْهِ يَنْتَهِي. قَسَّمَ النِّعَمَ عَلَى عَبِيدِهِ. كَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ مَوَاهِبَ كَثِيرَةً. وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ الْقُوتِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيسًا. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا. رَاغِبًا إِلَيْهِ. لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ: أَنَا الضَّارُّ النَّافِعُ. أَشْفِي وَأُمْرِضُ. وَأُغْنِي وَأُفْقِرُ. وَأُمِيتُ وَأُحْيِي. وَبِيَدِي كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ. فَوَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُهُ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنَ السُّعَدَاءِ الْأَبْرَارِ. كَمَا قِيلَ: إِنَّ أَسْعَدَ الْأَبْرَارِ مَنْ جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ. وَمَنْ تَعَدَّى وَطَلَبَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ اللهُ لَهُ وَعَلَيْهِ يُشْبِهُ حِمَارَ الْوَحْشِ وَالثَّعْلَبَ: قَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حَدِيثُهُمَا

(حكاية حمار الوحش والثعلب)

قَالَ الْوَزِيرُ: اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطَنِهِ وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ. وَإِذَا بِالنَّهَارِ قَدِ انْقَضَى. وَقَصَدَ الرُّجُوعَ. فَاجْتَمَعَ عَلَى ثَعْلَبٍ رَآهُ مَاشِيًا. وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَحْكِي لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا افْتَرَسَهُ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّنِي بِالْأَمْسِ وَقَعْتُ فِي حِمَارِ وَحْشٍ وَكُنْتُ جَائِعًا. وَكَانَ لِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا أَكَلْتُ. فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ وَشَكَرْتُ اللهَ تَعَالَى الَّذِي سَخَّرَهُ لِي. ثُمَّ إِنِّي عَمَدْتُ إِلَى قَلْبِهِ فَأَكَلْتُهُ وَشَبِعْتُ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى وَطَنِي وَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا آكُلُهُ وَمَعَ ذَلِكَ أَنَا شَبْعَانُ إِلَى الْآنَ: فَلَمَّا سَمِعَ الثَّعْلَبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلَى شِبَعِهِ.

وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَا بُدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَلْبِ حِمَارِ الْوَحْشِ: فَتَرَكَ الْأَكْلَ أَيَّامًا حَتَّى انْهَزَلَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقَصُرَ سَعْيُهُ وَاجْتِهَادُهُ وَرَبَضَ فِي وَطَنِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي وَطَنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِصَيَّادَيْنِ مَاشِيَيْنِ قَاصِدَيْنِ الصَّيْدَ فَوَقَعَ لَهُمَا حِمَارُ وَحْشٍ. فَأَقَامَا النَّهَارَ كُلَّهُ فِي أَثَرِهِ طَرْدًا. ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُشَعَّبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَاتَّصَلَ بِقَلْبِهِ فَقَتَلَهُ قُبَالَةَ وَكْرِ الثَّعْلَبِ الْمَذْكُورِ. فَأَدْرَكَهُ الصَّيَّادَانِ فَوَجَدَاهُ مَيْتًا. فَأَخْرَجَا السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا الْعُودُ. وَبَقِيَ السَّهْمُ مُشَعَّبًا فِي بَطْنِ حِمَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنْ وَطَنِهِ وَهُوَ يَتَضَجَّرُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْجُوعِ فَرَأَى حِمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ طَرِيحًا. فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا حَتَّى كَادَ أَنْ يَطِيرَ مِنَ الْفَرَحِ. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسَّرَ لِي شَهْوَتِي مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ لِأَنِّي كُنْتُ لَا آمُلُ أَنِّي أُصِيبُ حِمَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ. وَلَعَلَّ اللهَ أَوْقَعَ هٰذَا وَسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي: ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ. وَصَارَ يَجُولُ بِفَمِهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ فَالْتَقَمَهُ بِفَمِهِ وَابْتَلَعَهُ. فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ حَلْقِهِ اشْتَبَكَ شُعَبُ السَّهْمِ فِي عَظْمِ رَقَبَتِهِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَلْقِهِ وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ. وَقَالَ: حَقًّا لَا يَنْبَغِي لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ. لِأَنِّي لَوْ قَنِعْتُ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لِي لَمَا صِرْتُ إِلَى الْهَلَاكِ

فَلِهٰذَا أَيُّهَا الْمَلِكُ. يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ وَيَشْكُرَ نِعَمَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ. وَهَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِحُسْنِ نِيَّتِكَ وَإِسْدَاءِ مَعْرُوفِكَ رَزَقَكَ اللهُ وَلَدًا بَعْدَ الْيَأْسِ. فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ

عُمْرًا طَوِيلًا وَسَعَادَةً دَائِمَةً . وَيَجْعَلَهُ خَلَفًا مُبَارَكًا مُوفِيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ بَعْدَ طُولِ عُمْرِكَ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلرَّابِعُ وَقَالَ: إِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا كَانَ فَهِيمًا عَالِمًا بِأَبْوَابِ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْأَحْكَامِ وَٱلسِّيَاسَةِ . مَعَ صَلَاحِ ٱلنِّيَّةِ وَٱلْعَدْلِ فِي ٱلرَّعِيَّةِ وَإِكْرَامِ مَنْ يَجِبُ إِكْرَامُهُ . وَتَوْقِيرِ مَنْ يَجِبُ تَوْقِيرُهُ . وَٱلْعَفْوِ عِنْدَ ٱلْقُدْرَةِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ . وَرِعَايَةِ ٱلرُّؤَسَاءِ وَٱلْمَرْؤُوسِينَ . وَٱلتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَٱلْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَصَوْنِ دِمَائِهِمْ وَٱلْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ . كَانَ حَقِيقًا بِٱلسَّعَادَةِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ وَٱلْأُخْرَوِيَّةِ . فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُعِيذُهُ مِنْهُمْ وَيُعِينُهُ عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَنُصْرَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبُلُوغِ مَأْمُولِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةِ ٱللّٰهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لِشُكْرِهِ وَٱلْفَوْزِ بِعِنَايَتِهِ . وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ . لِكَوْنِ جَوْرِهِ عَلَى ٱلْغَرِيبِ وَٱلْقَرِيبِ . وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِٱبْنِ ٱلْمَلِكِ ٱلسَّائِحِ : فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

(حكاية ابن الملك السائح)

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ ٱلْغَرْبِ مَلِكٌ جَائِرٌ فِي حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ عَاسِفٌ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عُمَّالُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ وَيُبْقُونَ لَهُ ٱلْخُمْسَ لَا غَيْرَ . فَقَدَّرَ ٱللّٰهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ . فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ ٱلدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَائِحًا عَابِدًا لِلّٰهِ تَعَالَى مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي ٱلْبَرَارِي وَٱلْقِفَارِ وَيَدْخُلُ ٱلْمُدُنَ . فَفِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ دَخَلَ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةَ .

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى ٱلْمُحَافِظِينَ أَخَذُوهُ وَفَتَّشُوهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى ثَوْبَيْنِ أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَٱلْآخَرُ عَتِيقٌ. فَنَزَعُوا مِنْهُ ٱلْجَدِيدَ وَتَرَكُوا لَهُ ٱلْعَتِيقَ بَعْدَ ٱلْإِهَانَةِ وَٱلتَّحْقِيرِ. فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ: وَيْحَكُمْ أَيُّهَا ٱلظَّالِمُونَ. أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَائِحٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هٰذَا ٱلثَّوْبِ. وَإِذَا لَمْ تَعْطُوهُ لِي ذَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكَوْتُكُمْ إِلَيْهِ: فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ: إِنَّنَا فَعَلْنَا ذٰلِكَ بِأَمْرِ ٱلْمَلِكِ. فَمَا بَدَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَٱفْعَلْهُ: فَصَارَ ٱلسَّائِحُ يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَلَاطِ ٱلْمَلِكِ وَأَرَادَ ٱلدُّخُولَ فَمَنَعَهُ ٱلْحُجَّابُ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا لِي إِلَّا أَنِّي أَرْصُدُهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ حَالِي وَمَا أَصَابَنِي: فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ ٱلْمَلِكِ. إِذْ سَمِعَ أَحَدَ ٱلْأَجْنَادِ يُخْبِرُ عَنْهُ. فَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ ٱلْبَابِ. فَمَا شَعَرَ إِلَّا وَٱلْمَلِكُ خَارِجٌ فَعَارَضَهُ ٱلسَّائِحُ وَدَعَا لَهُ بِٱلنَّصْرِ. وَأَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ ٱلْمُحَافِظِينَ وَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ. وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱللهِ رَفَضَ ٱلدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا رِضَا ٱللهِ تَعَالَى فَصَارَ سَائِحًا فِي ٱلْأَرْضِ. وَكُلُّ مَنْ وَفَدَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّاسِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِمَا أَمْكَنَهُ. وَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَكُلَّ قَرْيَةٍ وَهُوَ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ. ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ تَرَجَّيْتُ أَنْ يَفْعَلَ بِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يُفْعَلُ بِغَيْرِي مِنَ ٱلسَّائِحِينَ. فَعَارَضَنِي أَتْبَاعُكَ وَنَزَعُوا أَحَدَ أَثْوَابِي وَأَلْهَفُونِي ضَرْبًا. فَٱنْظُرْ فِي شَأْنِي وَخُذْ بِيَدِي وَخَلِّصْ لِي ثَوْبِي. وَأَنَا لَا أُقِيمُ بِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً: فَأَجَابَهُ ٱلْمَلِكُ ٱلظَّالِمُ قَائِلًا: مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِدُخُولِكَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ. وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَفْعَلُ مَلِكُهَا: فَقَالَ: بَعْدَ أَنْ آخُذَ ثَوْبِي ٱفْعَلْ بِي مُرَادَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ٱلظَّالِمُ مِنَ ٱلسَّائِحِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ. حَصَلَ عِنْدَهُ تَغْيِيرُ مِزَاجٍ فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُ نَزَعْنَا عَنْكَ ثَوْبَكَ لِكَيْ تَذِلَّ وَحَيْثُ وَقَعَ مِنْكَ مِثْلُ هٰذَا ٱلصِّيَاحِ عِنْدِي. فَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَكَ مِنْكَ: ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْنِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ ٱلسِّجْنَ جَعَلَ يَنْدَمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ ٱلْجَوَابِ وَعَنَّفَ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ ذٰلِكَ وَيَفُوزَ بِرُوحِهِ. فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ ٱللَّيْلِ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَصَلَّى صَلٰوةً مُطَوَّلَةً. وَقَالَ: يَا أَللّٰهُ. إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْحَكَمُ ٱلْعَدْلُ. تَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا ٱنْطَوَى عَلَيْهِ أَمْرِي مَعَ هٰذَا ٱلْمَلِكِ ٱلْجَائِرِ. وَأَنَا عَبْدُكَ ٱلْمَظْلُومُ أَسْأَلُكَ مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِكَ أَنْ تَنْقُذَنِي مِنْ يَدِ هٰذَا ٱلْمَلِكِ ٱلظَّالِمِ وَتُحِلَّ بِهِ نِقْمَتَكَ لِأَنَّكَ لَا تَغْفُلُ عَنْ ظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ظَلَمَنِي فَأَحْلِلْ نِقْمَتَكَ عَلَيْهِ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ وَأَنْزِلْ بِهِ عَذَابَكَ لِأَنَّ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَأَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ مَلْهُوفٍ[1]. يَا مَنْ لَهُ ٱلْقُدْرَةُ وَٱلْعَظَمَةُ إِلَى آخِرِ ٱلدَّهْرِ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلسَّجَّانُ دُعَاءَ هٰذَا ٱلْمِسْكِينِ صَارَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْأَعْضَاءِ مَرْعُوبًا. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ وَإِذَا بِنَارٍ ٱتَّقَدَتْ فِي ٱلْقَصْرِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْمَلِكُ. فَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَتَّى بَابَ ٱلسِّجْنِ وَلَمْ يَخْلُصْ سِوَى ٱلسَّجَّانِ وَٱلسَّائِحِ فَٱنْطَلَقَ ٱلسَّائِحُ وَسَارَ هُوَ وَٱلسَّجَّانُ. وَلَمْ يَزَالَا سَائِرَيْنِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى غَيْرِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ. وَأَمَّا مَدِينَةُ ٱلْمَلِكِ ٱلظَّالِمِ فَإِنَّهَا ٱحْتَرَقَتْ عَنْ آخِرِهَا بِسَبَبِ جَوْرِ مَلِكِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا

---

[1] هذه طلبة مظلوم لم يستنر بنور تعليم المسيح الغافر لاعدائه. فمن امن بهذه الحكمة الالهية والجودة الازلية حذا حذوه تعالى محتملاً السوء غافرًا لمن اساء اليهِ مستنيرًا بموجب كلام الرب القائل: احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويظلمكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويمطر على الصديقين والظالمين (متى ٥: ٤٤ و٤٥)

ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ. فَمَا نُمْسِي وَنُصْبِحُ إِلَّا وَنَحْنُ دَاعُونَ وَشَاكِرُونَ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمَئِنِّينَ بِعَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ. وَكَانَ عِنْدَنَا غَمٌّ كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَٱلْآنَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ عَنَّا ٱلْغَمَّ وَأَتَانَا بِٱلسُّرُورِ بِوُجُودِ هٰذَا ٱلْغُلَامِ ٱلْمُبَارَكِ. فَنَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً وَيَرْزُقَهُ ٱلْعِزَّ وَٱلسَّعَادَةَ ٱلْبَاقِيَةَ وَٱلْخَيْرَ ٱلدَّائِمَ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْخَامِسُ وَقَالَ: تَبَارَكَ ٱللهُ ٱلْعَظِيمُ مَانِحُ ٱلْعَطَايَا ٱلصَّالِحَةِ وَٱلْمَوَاهِبِ ٱلسَّنِيَّةِ. وَبَعْدُ فَإِنَّا تَحَقَّقْنَا أَنَّ ٱللهَ يُنْعِمُ عَلَى مَنْ يَشْكُرُهُ وَيُحَافِظُ عَلَى دِينِهِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ. ٱلْمَوْصُوفُ بِهٰذِهِ ٱلْمَنَاقِبِ ٱلْجَلِيلَةِ وَٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ بَيْنَ رَعِيَّتِكَ بِمَا يُرْضِي ٱللهَ تَعَالَى. فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ أَعْلَى ٱللهُ شَأْنَكَ وَأَسْعَدَ أَيَّامَكَ وَوَهَبَ لَكَ هٰذِهِ ٱلْعَطِيَّةَ ٱلصَّالِحَةَ ٱلَّتِي هِيَ هٰذَا ٱلْوَلَدُ ٱلسَّعِيدُ بَعْدَ ٱلْيَأْسِ. وَصَارَ لَنَا بِذٰلِكَ ٱلْفَرَحُ ٱلدَّائِمُ وَٱلسُّرُورُ ٱلَّذِي لَا يَنْقَطِعُ. لِأَنَّنَا قَبْلَ ذٰلِكَ كُنَّا فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَغَمٍّ زَائِدٍ بِسَبَبِ عَدَمِ وَلَدٍ لَكَ. وَفِي أَفْكَارٍ فِيمَا أَنْتَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنْ عَدْلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا. وَخَوْفًا أَنْ يَقْضِيَ ٱللهُ عَلَيْكَ بِٱلْمَوْتِ. وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُفُكَ وَيَرِثُ ٱلْمُلْكَ مِنْ بَعْدِكَ. فَيَخْتَلِفَ رَأْيُنَا وَيَقَعَ بَيْنَنَا ٱلشِّقَاقُ وَيَصِيرَ بَيْنَنَا مَا صَارَ لِلْغُرَابِ: فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ ٱلْغُرَابِ

(حكاية الغراب)

فَأَجَابَهُ ٱلْوَزِيرُ قَائِلًا: أَعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ. أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْبَرَارِي وَادٍ مُتَّسِعٌ. وَكَانَ بِهِ أَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ وَأَثْمَارٌ وَبِهِ أَطْيَارٌ تُسَبِّحُ ٱللهَ

ٱلْوَاحِدَ ٱلْقَهَّارَ. خَالِقَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ ٱلطُّيُورِ غِرْبَانٌ. وَكَانَتْ فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ. وَكَانَ ٱلْمُقَدَّمَ عَلَيْهِنَّ وَٱلْحَاكِمَ بَيْنَهُنَّ غُرَابٌ رَؤُوفٌ بِهِنَّ شَفُوقٌ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي أَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ. وَمِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِهِ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلطُّيُورِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا. فَٱتَّفَقَ أَنَّ مُقَدَّمَهُنَّ تُوُفِّيَ وَجَاءَهُ ٱلْأَمْرُ ٱلْمَحْتُومُ عَلَى سَائِرِ ٱلْخَلْقِ فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ حَزَنًا شَدِيدًا. وَمِنْ زِيَادَةِ حُزْنِهِنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ مِثْلُهُ يَقُومُ مَقَامَهُ. فَٱجْتَمَعْنَ جَمِيعًا وَٱئْتَمَرْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ عَلَى مَنْ يَقُومُ عَلَيْهِنَّ بِحَيْثُ يَكُونُ صَالِحًا. فَطَائِفَةٌ مِنْهُنَّ ٱخْتَرْنَ غُرَابًا. وَقُلْنَ إِنَّ هٰذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَأُخَرُ ٱخْتَلَفْنَ فِيهِ. وَلَمْ يُرِدْنَهُ فَوَقَعَ بَيْنَهُنَّ ٱلشِّقَاقُ وَٱلْجِدَالُ وَعَظُمَتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَهُنَّ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ حَصَلَ بَيْنَهَا تَوَافُقٌ. وَتَعَاهَدْنَ عَلَى أَنْ يَنَمْنَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ. وَلَا يَبْكُرَ أَحَدٌ إِلَى ٱلسُّرُوحِ فِي طَلَبِ ٱلْمَعِيشَةِ غَدًا. بَلْ يَصْبِرْنَ جَمِيعًا إِلَى ٱلصَّبَاحِ. وَعِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ يَكُنَّ مُجْتَمِعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَنْظُرْنَ كُلَّ طَيْرٍ يَسْبِقُ فِي ٱلطَّيَرَانِ. وَقُلْنَ إِنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ ٱللهِ عَلَيْنَا وَمُخْتَارًا عِنْدَنَا لِلْمُلْكِ. فَنَجْعَلُهُ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَنُوَلِّيهِ أَمْرَنَا. فَرَضِينَ كُلُّهُنَّ بِذٰلِكَ وَعَاهَدْنَ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا وَٱتَّفَقْنَ عَلَى هٰذَا ٱلْعَهْدِ. فَبَيْنَمَا هِيَ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْحَالِ إِذْ طَلَعَ بَازٌ. فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَبَا ٱلْخَيْرِ. نَحْنُ ٱخْتَرْنَاكَ وَالِيًا عَلَيْنَا لِتَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا: فَرَضِيَ ٱلْبَازُ بِمَا قُلْنَهُ. وَقَالَ لِهُنَّ: إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى سَيَكُونُ لَكُنَّ مِنِّي خَيْرٌ عَظِيمٌ: ثُمَّ إِنَّهُنَّ بَعْدَمَا وَلَّيْنَهُ عَلَيْهِنَّ. صَارَ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا سَرَحَ وَسَرَحَ ٱلْغِرْبَانُ يَسْتَفْرِدُ بِأَحَدِهِنَّ وَيَضْرِبُهُ وَيَأْكُلُ دِمَاغَهُ وَعَيْنَيْهِ وَيَتْرُكُ ٱلْبَاقِيَ. وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ مَعَهُنَّ هٰكَذَا حَتَّى فَطِنَتْ بِهِ فَرَأَتْ غَالِبَهَا قَدْ هَلَكَ فَأَيْقَنَتْ

بِٱلْهَلَاكِ. وَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ : كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ هَلَكَ أَكْثَرُنَا. وَمَا أَنْتَبِهْنَا حَتَّى هَلَكَ أَكَابِرُنَا. فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَحَفَّظَ عَلَى أَنْفُسِنَا : فَلَمَّا أَصْبَحَتْ نَفَرَتْ مِنْهُ وَتَفَرَّقَتْ مِنْ حَوْلِهِ. وَنَحْنُ ٱلْآنَ نَخْشَى أَنْ يَقَعَ لَنَا مِثْلُ هٰذَا وَيَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ. وَلٰكِنْ قَدْ مَنَّ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا بِهٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ وَوَجَّهَكَ إِلَيْنَا. وَنَحْنُ وَاثِقُونَ ٱلْآنَ بِٱلصَّلَاحِ وَجَمْعِ ٱلشَّمْلِ. وَٱلْأَمْنِ وَٱلْأَمَانَةِ وَٱلسَّلَامَةِ فِي ٱلْوَطَنِ. فَتَبَارَكَ ٱللّٰهُ ٱلْعَظِيمُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَٱلشُّكْرُ وَٱلثَّنَاءُ ٱلْجَمِيلُ. وَبَارَكَ ٱللّٰهُ لِلْمَلِكِ وَلَنَا مَعْشَرَ ٱلرَّعِيَّةِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاهُ ٱلسَّعَادَةَ ٱلْعُظْمَى. وَجَعَلَهُ سَعِيدَ ٱلْوَقْتِ قَائِمَ ٱلْجِدِّ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلسَّادِسُ وَقَالَ : هَنَّاكَ ٱللّٰهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ بِأَحْسَنِ ٱلْهَنَاءِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ. فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَقَامَ بِحُقُوقِ ٱلْوَالِدَيْنِ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ لَقِيَ رَبَّهُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ. وَقَدْ وُلِّيتَ عَلَيْنَا فَعَدَلْتَ. فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ سَعِيدَ ٱلْحَرَكَاتِ. فَنَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يُجْزِلَ ثَوَابَكَ وَيَأْجُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ. وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هٰذَا ٱلْعَالِمُ فِيمَا نَتَخَوَّفُ مِنْ حِرْمَانِ حَظِّنَا بِعَدَمِ ٱلْمَلِكِ أَوْ بِوُجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَكَ. فَيَعْظُمَ ٱخْتِلَافُنَا بَعْدَكَ وَيَقَعَ ٱلْبَلَاءُ فِي ٱلِٱخْتِلَافِ. وَإِذَا كَانَ ٱلْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فَٱلْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْتَهِلَ إِلَى ٱللّٰهِ تَعَالَى بِٱلدُّعَاءِ. لَعَلَّهُ يَهَبُ لِلْمَلِكِ وَلَدًا سَعِيدًا. وَيَجْعَلُهُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ بَعْدَهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ رُبَّمَا كَانَ ٱلَّذِي يُحِبُّهُ ٱلْإِنْسَانُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَيَشْتَهِيهِ مَجْهُولَ ٱلْعَاقِبَةِ لَهُ. وَحِينَئِذٍ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَمْرًا لَا يَدْرِي عَاقِبَتَهُ. لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ضَرَرُ ذٰلِكَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ. فَيَكُونُ هَلَاكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ

ٱلْحَاوِي وَأَوْلَادَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ : قَالَ ٱلْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ ٱلْحَاوِي وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(حكاية الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته)

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ يُرَبِّي ٱلْحَيَّاتِ . وَهٰذِهِ كَانَتْ صَنْعَتَهُ . وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ . فِيهَا ثَلٰثُ حَيَّاتٍ لَمْ يُعْلِمْ بِهَا أَهْلَ بَيْتِهِ . وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَخْرُجُ يَدُورُ بِهَا فِي ٱلْمَدِينَةِ . وَيَتَسَبَّبُ بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ . وَيَرْجِعُ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ وَيَضَعُ ٱلْأَحْنَاشَ فِي ٱلسَّلَّةِ سِرًّا . وَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَأْخُذُهَا وَيَدُورُ بِهَا فِي ٱلْمَدِينَةِ . فَكَانَ هٰذَا دَأْبَهُ عَلَى ٱلدَّوَامِ . وَلَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ بَيْتِهِ بِمَا فِي ٱلسَّلَّةِ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ لَمَّا عَادَ ٱلْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى جَرْيِ عَادَتِهِ . سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ . وَقَالَتْ لَهُ : مَا فِي هٰذِهِ ٱلسَّلَّةِ : فَقَالَ لَهَا ٱلْحَاوِي : وَمَا مُرَادُكِ مِنْهَا . أَلَيْسَ ٱلزَّادُ عِنْدَكُمْ كَثِيرًا زَائِدًا . فَٱقْنَعِي بِمَا قَسَمَ ٱللهُ لَكِ . وَلَا تَسْأَلِي عَنْ غَيْرِهِ : فَسَكَتَتْ عَنْهُ تِلْكَ ٱلْمَرْأَةُ . وَصَارَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : لَا بُدَّ لِي أَنْ أُفَتِّشَ هٰذِهِ ٱلسَّلَّةَ وَأَعْرِفَ مَا فِيهَا . وَصَمَّمَتْ عَلَى ذٰلِكَ وَأَعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكَّدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا وَالِدَهُمْ عَنِ ٱلسَّلَّةِ وَيُلِحُّوا عَلَيْهِ فِي ٱلسُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَعَلَّقَ خَاطِرُ ٱلْأَوْلَادِ بِأَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُؤْكَلُ . فَصَارَ ٱلْأَوْلَادُ كُلَّ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مِنْ أَبِيهِمْ أَنْ يُرِيَهُمْ مَا فِي ٱلسَّلَّةِ . وَكَانَ أَبُوهُمْ يُدَافِعُهُمْ وَيُرَاضِيهِمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ هٰذَا ٱلسُّؤَالِ . فَمَضَتْ لَهُمْ مُدَّةٌ وَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْحَالِ . وَأُمُّهُمْ تَحُثُّهُمْ عَلَى ذٰلِكَ . ثُمَّ ٱتَّفَقُوا مَعَهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرَبُونَ شَرَابًا لِوَالِدِهِمْ حَتَّى يُبَلِّغَهُمْ طَلِبَتَهُمْ وَيَفْتَحَ لَهُمُ ٱلسَّلَّةَ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ حَضَرَ ٱلْحَاوِي

وَمَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ . فَقَعَدَ وَدَعَاهُمْ لِيَأْكُلُوا مَعَهُ فَأَبَوُا ٱلْحُضُورَ إِلَيْهِ . وَبَيَّنُوا لَهُ ٱلْغَيْظَ . فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُمْ بِٱلْكَلَامِ ٱلْحَسَنِ . وَيَقُولُ لَهُمْ: ٱنْظُرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيءَ بِهِ إِلَيْكُمْ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا أَوْ مَلْبُوسًا : فَقَالُوا لَهُ : يَا وَالِدَنَا . مَا نُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا فَتْحَ هٰذِهِ ٱلسَّلَّةِ لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَإِلَّا قَتَلْنَا أَنْفُسَنَا: فَقَالَ لَهُمْ : يَا أَوْلَادِي . لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ . وَإِنَّمَا فَتْحُهَا ضَرَرٌ لَكُمْ : فَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱزْدَادُوا غَيْظًا . فَلَمَّا رَآهُمْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ . أَخَذَ يُهَدِّدُهُمْ وَيُشِيرُ لَهُمْ بِٱلضَّرْبِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ تِلْكَ ٱلْحَالَةِ . فَلَمْ يَزْدَادُوا إِلَّا غَيْظًا وَرَغْبَةً فِي ٱلسُّؤَالِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ عَصًا لِيَضْرِبَهُمْ بِهَا . فَهَرَبُوا قُدَّامَهُ فِي ٱلدَّارِ . وَكَانَتِ ٱلسَّلَّةُ حَاضِرَةً لَمْ يُخْفِهَا ٱلْحَاوِي فِي مَكَانٍ . فَخَلَّتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلرَّجُلَ مَشْغُولًا بِٱلْأَوْلَادِ وَفَتَحَتِ ٱلسَّلَّةَ بِسُرْعَةٍ لِكَيْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا . وَإِذَا بِٱلْحَيَّاتِ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ ٱلسَّلَّةِ وَلَدَغَتِ ٱلْمَرْأَةَ أَوَّلًا فَقَتَلَتْهَا ثُمَّ دَارَتْ فِي ٱلدَّارِ وَأَهْلَكَتِ ٱلْكِبَارَ وَٱلصِّغَارَ مَا عَدَا ٱلْحَاوِيَ . فَتَرَكَ ٱلْحَاوِي ٱلدَّارَ وَخَرَجَ . فَلَمَّا تَحَقَّقْتُ ذٰلِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ . عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَمَنَّى شَيْئًا غَيْرَ ٱلَّذِي لَمْ يُرِدِ ٱللّٰهُ تَعَالَى بَلْ يَطِيبَ نَفْسًا بِمَا قَدَّرَهُ ٱللّٰهُ لَهُ وَأَرَادَهُ . وَهَا أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . مَعَ غَزَارَةِ عِلْمِكَ وَجُودَةِ فَهْمِكَ . أَقَرَّ ٱللّٰهُ عَيْنَكَ بِحُضُورِ وَلَدٍ لَكَ بَعْدَ ٱلْيَأْسِ وَطَيَّبَ قَلْبَكَ . وَنَحْنُ نَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْعَادِلِينَ ٱلْمَرْضِيِّينَ لِلّٰهِ تَعَالَى وَٱلرَّعِيَّةِ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلسَّابِعُ وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقْتُ مَا ذَكَرَهُ إِخْوَتِي هٰؤُلَاءِ ٱلْوُزَرَاءُ ٱلْعُلَمَاءُ ٱلْحُكَمَاءُ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَضْرَتِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . وَمَا وَصَفُوهُ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ وَمَا تَمَيَّزْتَ بِهِ عَمَّنْ

سِوَاكَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ حَيْثُ فَضَّلُوكَ عَلَيْهِمْ. وَذٰلِكَ مِنْ بَعْضِ ٱلْوَاجِبِ عَلَيْنَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي تَوَلَّاكَ لِنِعْمَتِهِ. وَأَعْطَاكَ صَلَاحَ ٱلْمُلْكِ بِرَحْمَتِهِ وَأَعَانَكَ وَإِيَّانَا عَلَى أَنْ تَزِيدَهُ شُكْرًا. وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِوُجُودِكَ. وَمَا دُمْتَ فِينَا لَمْ نَتَخَوَّفْ جَوْرًا وَلَا نَبْغِي ظُلْمًا. وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضُعْفِنَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَحْسَنَ ٱلرَّعَايَا مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ عَادِلًا وَشَرَّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ جَائِرًا. وَقِيلَ أَيْضًا: ٱلسُّكْنَى مَعَ ٱلْأُسُودِ ٱلْكَوَاسِرِ. وَلَا ٱلسُّكْنَى مَعَ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْجَائِرِ. فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ تَعَالَى عَلَى ذٰلِكَ حَمْدًا دَائِمًا حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِوُجُودِكَ. وَرَزَقَكَ هٰذَا ٱلْوَلَدَ ٱلْمُبَارَكَ بَعْدَ ٱلْيَأْسِ وَٱلطَّعْنِ فِي ٱلسِّنِّ. لِأَنَّ أَجَلَّ ٱلْعَطَايَا فِي ٱلدُّنْيَا ٱلْوَلَدُ ٱلصَّالِحُ. وَقَدْ قِيلَ: مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا عَاقِبَةَ لَهُ وَلَا ذِكْرَ. وَأَنْتَ بِقَوِيمِ عَدْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ بِٱللّٰهِ تَعَالَى أُعْطِيتَ هٰذَا ٱلْوَلَدَ ٱلسَّعِيدَ. فَجَاءَكَ هٰذَا ٱلْوَلَدُ ٱلْمُبَارَكُ مِنَّةً مِنَ ٱللّٰهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ. بِحُسْنِ سِيرَتِكَ وَجَمِيلِ صَبْرِكَ. وَصَارَ فِيكَ ذٰلِكَ مِثْلَ مَا صَارَ فِي ٱلْعَنْكَبُوتِ وَٱلرِّيحِ: فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ ٱلْعَنْكَبُوتِ وَٱلرِّيحِ

(حكاية العكبوت والريح)

قَالَ ٱلْوَزِيرُ: ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. أَنَّ عَنْكَبُوتًا تَعَلَّقَتْ فِي بَابٍ مُتَنَحٍّ عَالٍ. وَعَمِلَتْ لَهَا بَيْتًا وَسَكَنَتْ فِيهِ بِأَمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ ٱللّٰهَ تَعَالَى ٱلَّذِي يَسَّرَ لَهَا هٰذَا ٱلْمَكَانَ وَأَمَّنَ خَوْفَهَا مِنَ ٱلْهَوَامِّ. فَمَكَثَتْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ. وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلّٰهِ عَلَى رَاحَتِهَا وَٱتِّصَالِ رِزْقِهَا. فَٱمْتَحَنَهَا خَالِقُهَا.

بِأَنْ أَخْرَجَهَا لِيَنْظُرَ شُكْرَهَا وَصَبْرَهَا. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةً شَرْقِيَّةً. فَحَمَلَتْهَا بِبَيْتِهَا وَرَمَتْهَا فِي ٱلْبَحْرِ. فَجَرَّتْهَا ٱلْأَمْوَاجُ إِلَى ٱلْبَرِّ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ شَكَرَتِ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَتِهَا. وَجَعَلَتْ تُعَاتِبُ ٱلرِّيحَ قَائِلَةً لَهَا: أَيَّتُهَا ٱلرِّيحُ لِمَ فَعَلْتِ بِي ذٰلِكَ. وَمَا ٱلَّذِي حَصَلَ لَكِ مِنَ ٱلْخَيْرِ فِي نَقْلِي مِنْ مَكَانِي إِلَى هُنَا. وَقَدْ كُنْتُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً فِي بَيْتِي بِأَعْلَى ذٰلِكَ ٱلْبَابِ: فَقَالَ لَهَا ٱلرِّيحُ: ٱنْتَهِي عَنِ ٱلْعِتَابِ. فَإِنِّي سَأَرْجِعُ بِكِ وَأُوصِلُكِ إِلَى مَكَانِكِ كَمَا كُنْتِ أَوَّلًا: فَلَبِثَتِ ٱلْعَنْكَبُوتُ صَابِرَةً عَلَى ذٰلِكَ. رَاجِيَةً أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهَا حَتَّى ذَهَبَتْ رِيحُ ٱلشَّمَالِ وَلَمْ تَرْجِعْ بِهَا. وَهَبَّتْ رِيحُ ٱلْجَنُوبِ فَمَرَّتْ بِهَا وَٱخْتَطَفَتْهَا. وَطَارَتْ بِهَا إِلَى جِهَةِ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ. فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ عَرَفَتْهُ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ

وَنَحْنُ نَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي أَثَابَ ٱلْمَلِكَ عَلَى وَحْدَتِهِ وَصَبْرِهِ وَرَزَقَهُ هٰذَا ٱلْغُلَامَ بَعْدَ يَأْسِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ. وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَتَّى رَزَقَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ وَوَهَبَ لَهُ مَا وَهَبَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسُّلْطَانِ. فَرَحِمَ رَعِيَّتَهُ وَأَوْلَاهُمْ نِعْمَتَهُ

فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَوْقَ كُلِّ حَمْدٍ. وَٱلشُّكْرُ لَهُ فَوْقَ كُلِّ شُكْرٍ. لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ٱلَّذِي عَرَّفَنَا بِنُورِ آثَارِهِ جَلَالَ عَظَمَتِهِ. يُؤْتِي ٱلْمُلْكَ وَٱلسُّلْطَانَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي بِلَادِهِ. لِأَنَّهُ يَنْتَخِبُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ لِيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً وَوَكِيلًا عَلَى خَلْقِهِ. وَيَأْمُرُهُ فِيهِمْ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ وَإِقَامَةِ ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ وَٱلْعَمَلِ بِٱلْحَقِّ وَٱلِٱسْتِقَامَةِ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى مَا أَحَبَّ وَأَحَبُّوا. فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَمَرَ ٱللهُ كَانَ لِحَظِّهِ مُصِيبًا وَلِأَمْرِ رَبِّهِ مُطِيعًا. فَيَكْفِيهِ هَوْلَ دُنْيَاهُ وَيُحْسِنُ جَزَاءَهُ فِي أُخْرَاهُ. إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ.

وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ ٱللهُ أَخْطَأَ خَطَأً بَلِيغًا وَعَصَى رَبَّهُ وَآثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى أُخْرَاهُ. فَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلدُّنْيَا مَأْثَرٌ وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ نَصِيبٌ. لِأَنَّ ٱللهَ لَا يُمْهِلُ عَلَى أَهْلِ ٱلْجَوْرِ وَٱلْفَسَادِ وَلَا يُهْمِلُ أَحَدًا مِنَ ٱلْعِبَادِ. وَقَدْ ذَكَرَ وُزَرَاؤُنَا هٰؤُلَاءِ أَنْ مِنْ عَدْلِنَا بَيْنَهُمْ وَحُسْنِ تَصَرُّفِنَا مَعَهُمْ قَدْ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِٱلتَّوْفِيقِ لِشُكْرِهِ ٱلْمُسْتَوْجِبِ لِمَزِيدِ إِنْعَامِهِ. وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَالَ مَا أَلْهَمَهُ ٱللهُ فِي ذٰلِكَ. وَبَالَغُوا فِي ٱلشُّكْرِ لِلهِ تَعَالَى وَٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ. وَأَنَا أَشْكُرُ ٱللهَ. لِأَنِّي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَقَلْبِي بِيَدِهِ وَلِسَانِي تَابِعٌ لَهُ. رَاضٍ بِمَا حَكَمَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَارَ. وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِبَالِهِ مِنْ أَمْرِ هٰذَا ٱلْغُلَامِ وَذَكَرُوا مَا كَانَ مِنْ تَجَدُّدِ ٱلنِّعْمَةِ عَلَيْنَا حِينَ بَلَغْتُ مِنَ ٱلسِّنِّ حَدًّا يَغْلِبُ مَعَهُ ٱلْيَأْسُ وَضَعْفُ ٱلْيَقِينِ. وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي نَجَّانَا مِنَ ٱلْحِرْمَانِ. وَٱخْتِلَافُ ٱلْحُكَّامِ كَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ. وَقَدْ كَانَ ذٰلِكَ إِنْعَامًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ وَعَلَيْنَا. فَنَحْمَدُ ٱللهَ تَعَالَى ٱلَّذِي رَزَقَنَا هٰذَا ٱلْغُلَامَ سَمِيعًا مُطِيعًا وَجَعَلَهُ وَارِثًا مِنَ ٱلْخِلَافَةِ مَحَلًّا رَفِيعًا. نَسْأَلُهُ مِنْ كَرَمِهِ وَحِلْمِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ سَعِيدَ ٱلْحَرَكَاتِ مُوَفَّقًا لِلْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مَلِكًا وَسُلْطَانًا عَلَى رَعِيَّتِهِ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ. حَافِظًا لَهُمْ مِنْ هَلَكَاتِ ٱلْاِعْتِسَافِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ

• فَلَمَّا فَرَغَ ٱلْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ ٱلْحُكَمَاءُ وَٱلْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلهِ وَشَكَرُوا ٱلْمَلِكَ وَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَٱنْصَرَفَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ دَخَلَ ٱلْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ ٱلْغُلَامَ وَدَعَا لَهُ

فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ ٱلْعُمْرِ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً. أَرَادَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُعَلِّمَهُ ٱلْعُلُومَ فَبَنَى

لَهُ قَصْرًا فِي وَسَطِ ٱلْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ مَقْصُورَةً. وَجَعَلَ ٱلْغُلَامَ فِيهِ. وَرَتَّبَ لَهُ ثَلَثَةً مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَغْفُلُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا. وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي كُلِّ مَقْصُورَةٍ يَوْمًا وَيَحْرِصُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيُعَلِّمُونَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَصِيرَ بِجَمِيعِ ٱلْعُلُومِ عَارِفًا. وَيَكْتُبُوا عَلَى بَابِ كُلِّ مَقْصُورَةٍ مَا يُعَلِّمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ ٱلْعُلُومِ. وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفَهُ مِنْ أَصْنَافِهَا. ثُمَّ إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ أَقْبَلُوا عَلَى ٱلْغُلَامِ وَصَارُوا لَا يَفْتُرُونَ عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤَخِّرُونَ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْعُلُومِ. فَظَهَرَ لِلْغُلَامِ مِنْ ذَكَاءِ ٱلْعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلْفَهْمِ وَقُبُولِ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَظْهَرْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ. وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِقْدَارَ مَا تَعَلَّمَهُ وَلَدُهُ وَأَتْقَنَهُ. فَكَانَ ٱلْمَلِكُ يَسْتَظْهِرُ مِنْ ذٰلِكَ عِلْمًا حَسَنًا وَأَدَبًا جَمِيلًا. وَقَالَ ٱلْعُلَمَاءُ: إِنَّنَا مَا رَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَهْمًا مِثْلَ هٰذَا ٱلْغُلَامِ. فَبَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَّعَكَ بِحَيَاتِهِ

فَلَمَّا أَتَمَّ ٱلْغُلَامُ مُدَّةَ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ. وَفَاقَ جَمِيعَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْحُكَمَاءِ ٱلَّذِينَ فِي زَمَانِهِ. فَأَتَى بِهِ ٱلْعُلَمَاءُ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَالِدِهِ. وَقَالُوا لَهُ: أَقَرَّ ٱللهُ عَيْنَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ بِهٰذَا ٱلْوَلَدِ ٱلسَّعِيدِ. وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلْوَقْتِ وَحُكَمَائِهِ بَلَغَ مَا بَلَغَهُ: فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ ٱللهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نِعَمِهِ ٱلَّتِي لَا تُحْصَى. ثُمَّ دَعَا بِشَمَّاسٍ ٱلْوَزِيرِ وَقَالَ لَهُ: ٱعْلَمْ يَا شَمَّاسُ. أَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ أَتَوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ ٱبْنِي هٰذَا قَدْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْعُلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمُوهُ لَهُ حَتَّى فَاقَ مَنْ تَقَدَّمَهُ

فِي ذُلِكَ . فَمَا تَقُولُ يَا شَمَّاسُ : فَسَجَدَ عِنْدَ ذُلِكَ لِلّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبَّلَ يَدَ الْمَلِكِ وَقَالَ : أَبَتِ الْيَاقُوتَةُ وَلَوْ كَانَتْ فِي الْجَبَلِ الْأَصَمِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضِيئَةً كَالسِّرَاجِ . وَابْنُكَ هٰذَا جَوْهَرَةٌ . فَمَا تَمْنَعُهُ حَدَاثَتُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ . وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى فِي غَدٍ أَسْأَلُهُ وَأَسْتَنْطِقُهُ بِمَا عِنْدَهُ فِي مَجْمَعٍ أَجْمَعُهُ لَهُ مِنْ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ : فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ شَمَّاسٍ أَمَرَ جَهَابِذَةَ الْعُلَمَاءِ وَأَذْكِيَاءَ الْفُضَلَاءِ وَمَهَرَةَ الْحُكَمَاءِ أَنْ يَحْضُرُوا إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ فِي غَدٍ . فَحَضَرُوا جَمِيعًا . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ أَذِنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ ثُمَّ حَضَرَ شَمَّاسٌ الْوَزِيرُ . وَعِنْدَ ذُلِكَ صَارَ امْتِحَانُ ابْنِ الْمَلِكِ (وَهَا نَحْنُ نُورِدُ بَعْضَ أَسْئِلَةٍ وَأَجْوِبَةٍ امْتُحِنَ بِهَا فَأَجَابَ عَلَيْهَا أَحْسَنَ جَوَابٍ) قَالَ شَمَّاسٌ لِلْغُلَامِ : أَخْبِرْنِي هَلْ تَسْتَقِيمُ آخِرَةٌ بِغَيْرِ دُنْيَا فَقَالَ الْغُلَامُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُنْيَا فَلَا آخِرَةَ لَهُ . وَلٰكِنْ رَأَيْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا وَالْمَعَادَ الَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ كَمَثَلِ أَهْلِ تِلْكَ الضِّيَاعِ الَّذِينَ ابْتَنَى لَهُمْ أَمِيرٌ بَيْتًا ضَيِّقًا وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ . وَأَمَرَهُمْ بِعَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ وَضَرَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجَلًا وَوَكَّلَ بِهِ شَخْصًا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ مَا أُمِرَ بِهِ أَخْرَجَهُ الشَّخْصُ الْمُوَكَّلُ بِهِ مِنْ ذُلِكَ الضِّيقِ . وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أُمِرَ بِهِ . وَقَدِ انْقَضَى الْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ لَهُ عُوقِبَ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ . إِذْ رَشَحَ لَهُمْ مِنْ شُقُوقِ الْبَيْتِ عَسَلٌ . فَلَمَّا أَكَلُوا مِنَ الْعَسَلِ وَذَاقُوا طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ تَوَانَوْا فِي الْعَمَلِ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ . وَصَبَرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْغَمِّ مَعَ مَا عَلِمُوا مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا . وَقَنِعُوا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْيَسِيرَةِ . وَصَارَ الْمُوَكَّلُ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنْهُمْ . إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ . إِلَّا

وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذُلِكَ ٱلْبَيْتِ. فَعرَفْنَا أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارٌ تَتَحَيَّرُ فِيهَا ٱلْأَبْصَارُ وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا ٱلْآجَالُ. فَمَنْ وَجَدَ ٱلْحَلَاوَةَ ٱلْقَلِيلَةَ ٱلَّتِي تَكُونُ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا كَانَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ. حَيْثُ آثَرَ أَمْرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ. وَمَنْ يُؤْثِرْ أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ ٱلْحَلَاوَةِ ٱلْقَلِيلَةِ كَانَ مِنَ ٱلْفَائِزِينَ

قَالَ شَمَّاسٌ: قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ. وَقَبِلْتُ ذُلِكَ مِنْكَ. وَلٰكِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُمَا مُسَلَّطَيْنِ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَائِهِمَا مَعًا. وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ. فَإِنْ أَقْبَلَ ٱلْعَبْدُ عَلَى طَلَبِ ٱلْمَعِيشَةِ. فَذٰلِكَ إِضْرَارٌ بِرُوحِهِ فِي ٱلْمَعَادِ. وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى ٱلْآخِرَةِ. كَانَ ذُلِكَ إِضْرَارًا بِجَسَدِهِ. وَلَيْسَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى إِرْضَاءِ ٱلْمُتَخَالِفَيْنِ مَعًا

قَالَ ٱلْغُلَامُ: إِنَّهُ مَنْ حَصَّلَ ٱلْمَعِيشَةَ فِي ٱلدُّنْيَا تَقَوَّيهِ عَلَى ٱلْآخِرَةِ. فَإِنِّي رَأَيْتُ أَمْرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ مِثْلَ مَلِكَيْنِ. عَادِلٍ وَجَائِرٍ. وَكَانَتْ أَرْضُ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَائِرِ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَنَبَاتٍ. وَكَانَ ذُلِكَ ٱلْمَلِكُ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنَ ٱلتُّجَّارِ إِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَتِجَارَتَهُ. وَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى ذُلِكَ. لِمَا يُصِيبُونَ مِنْ خِصْبِ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ فِي ٱلْمَعِيشَةِ. وَأَمَّا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَادِلُ. فَإِنَّهُ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ. وَأَعْطَاهُ مَالًا وَافِرًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَائِرِ. لِيَبْتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا. فَٱنْطَلَقَ ذُلِكَ ٱلرَّجُلُ بِٱلْمَالِ. حَتَّى دَخَلَ تِلْكَ ٱلْأَرْضَ. فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ. وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ. وَمَنْ جَاءَ بِكَ إِلَى أَرْضِي. وَمَا حَاجَتُكَ: فَقَالَ

لَهُ: إِنِّي مِنْ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا. وَإِنَّ مَلِكَ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ أَعْطَانِي مَالًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَبْتَاعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ. فَٱمْتَثَلْتُ أَمْرَهُ وَجِئْتُ: فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: وَيْحَكَ. أَمَا عَلِمْتَ صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ أَنِّي آخُذُ مَالَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَالِكَ. وَهَا أَنْتَ مُقِيمٌ بِأَرْضِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا: فَقَالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ: إِنَّ ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ. وَإِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ تَحْتَ يَدِي حَتَّى أُوصِلَهُ لِصَاحِبِهِ: فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ بِتَارِكِكَ تَأْخُذُ مَعِيشَتَكَ مِنْ أَرْضِي حَتَّى تَفْدِيَ نَفْسَكَ بِهٰذَا ٱلْمَالِ جَمِيعِهِ: فَقَالَ ٱلرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ: قَدْ وَقَعْتُ بَيْنَ مَلِكَيْنِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جَوْرَ هٰذَا ٱلْمَلِكِ عَامٌّ عَلَى مَنْ أَقَامَ بِأَرْضِهِ. فَإِنْ لَمْ أُرْضِهِ كَانَ هَلَاكِي وَذَهَابُ ٱلْمَالِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا وَلَمْ أُصِبْ حَاجَتِي. وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ جَمِيعَ ٱلْمَالِ كَانَ هَلَاكِي عِنْدَ ٱلْمَلِكِ صَاحِبِ ٱلْمَالِ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ سِوَى أَنِّي أُعْطِيهِ مِنْ هٰذَا ٱلْمَالِ جُزْءًا يَسِيرًا وَأُرْضِيهِ بِهِ وَأَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هٰذَا ٱلْمَالِ ٱلْهَلَاكَ. وَأُصِيبُ مِنْ خِصْبِ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ قُوتَ نَفْسِي حَتَّى أَبْتَاعَ مَا أُرِيدُ مِنَ ٱلْجَوَاهِرِ. وَأَكُونُ قَدْ أَرْضَيْتُهُ بِمَا أَعْطَيْتُهُ وَآخُذُ نَصِيبِي مِنْ أَرْضِهِ هٰذِهِ. وَأَتَوَجَّهُ إِلَى صَاحِبِ ٱلْمَالِ بِحَاجَتِهِ. فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ عَدْلِهِ وَتَجَاوُزِهِ مَا لَا أَخَافُ مَعَهُ عُقُوبَةً فِيمَا أَخَذَهُ هٰذَا ٱلْمَلِكُ مِنَ ٱلْمَالِ؛ خُصُوصًا إِذَا كَانَ يَسِيرًا: ثُمَّ إِنَّ ٱلتَّاجِرَ دَعَا لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَا أَفْتَدِي نَفْسِي بِجُزْءٍ صَغِيرٍ مِنْ هٰذَا ٱلْمَالِ مُنْذُ دَخَلْتُ أَرْضَكَ حَتَّى أَخْرُجَ مِنْهَا: فَقَبِلَ ٱلْمَلِكُ مِنْهُ ذٰلِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ سَنَةً. فَٱشْتَرَى ٱلرَّجُلُ بِمَالِهِ جَمِيعِهِ جَوَاهِرَ. وَٱنْطَلَقَ إِلَى صَاحِبِهِ

فَٱلْمَلِكُ ٱلْعَادِلُ مِثَالٌ لِلْآخِرَةِ. وَٱلْجَوَاهِرُ ٱلَّتِي بِأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَائِرِ

مِثَالٌ لِلْحَسَنَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَالِ. مِثَالٌ لِمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا. وَالْمَالُ الَّذِي مَعَهُ. مِثَالٌ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَطْلُبُ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا يُخْلِيَ يَوْمًا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ. فَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ مِنْ خِصْبِ الْأَرْضِ. وَأَرْضَى الْآخِرَةَ بِمَا يَصْرِفُ مِنْ حَيَاتِهِ فِي طَلَبِهَا

قَالَ شَمَّاسٌ: فَأَخْبِرْنِي هَلِ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ سَوَاءٌ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. أَوْ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِالْعِقَابِ صَاحِبُ الشَّهَوَاتِ وَفَاعِلُ الْخَطِيَّاتِ

قَالَ الْغُلَامُ: قَدْ يَكُونُ الْمَيْلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْخَطِيَّاتِ مُوجِبًا لِلثَّوَابِ بِحَبْسِ النَّفْسِ عَنْهَا وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا. وَالْأَمْرُ بِيَدِ مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ. عَلَى أَنَّ الْمَعَاشَ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْجَسَدِ. وَلَا جَسَدَ إِلَّا بِالرُّوحِ. وَطَهَارَةُ الرُّوحِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. فَهُمَا فَرَسَا رِهَانٍ وَرَضِيعَا لُبَانٍ. وَمُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ. وَبِاعْتِبَارِ النِّيَّةِ تَفْصِيلُ الْإِجْمَالِ. وَكَذٰلِكَ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ. وَفِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. وَذٰلِكَ مَثَلُ الْأَعْمَى وَالْمُقْعَدِ. اللَّذَيْنِ أَخَذَهُمَا رَجُلٌ صَاحِبُ بُسْتَانٍ وَأَدْخَلَهُمَا بُسْتَانَهُ وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يُفْسِدَا فِيهِ وَلَا يَصْنَعَا فِيهِ أَمْرًا يَضُرُّ بِهِ. فَلَمَّا طَابَتْ أَثْمَارُ الْبُسْتَانِ. قَالَ الْمُقْعَدُ لِلْأَعْمَى: وَيْحَكَ إِنِّي أَرَى أَثْمَارًا طَيِّبَةً وَقَدِ اشْتَهَيْتُهَا وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا لِآكُلَ مِنْهَا. فَقُمْ أَنْتَ لِأَنَّكَ صَحِيحُ الرِّجْلَيْنِ. وَائْتِنَا مِنْهَا بِمَا نَأْكُلُ: فَقَالَ الْأَعْمَى: وَيْحَكَ. قَدْ ذَكَّرْتَهَا لِي وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا. وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ، لِأَنِّي لَسْتُ أُبْصِرُهَا. فَمَا الْحِيلَةُ فِي تَحْصِيلِ ذٰلِكَ: فَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ. إِذْ

أَتَاهُمَا ٱلنَّاظِرُ عَلَى ٱلْبُسْتَانِ. وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا. فَقَالَ لَهُ ٱلْمُقْعَدُ: وَيْحَكَ. يَانَاظِرُ. إِنَّا قَدِ ٱشْتَهَيْنَا شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلثِّمَارِ. وَنَحْنُ كَمَا تَرَى أَنَا مُقْعَدٌ وَصَاحِبِي هٰذَا أَعْمَى لَا يُبْصِرُ شَيْئًا. فَمَا حِيلَتُنَا

فَقَالَ لَهُمَا ٱلنَّاظِرُ: وَيْحَكُمَا أَلَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدَكُمَا عَلَيْهِ صَاحِبُ ٱلْبُسْتَانِ. مِنْ أَنَّكُمَا لَا تَتَعَرَّضَانِ لِشَيْءٍ مِمَّا يُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْفَسَادَ. فَٱنْتَهِيَا وَلَا تَفْعَلَا: فَقَالَا لَهُ: لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ مِنْ هٰذِهِ ٱلثِّمَارِ مَا نَأْكُلُهُ. فَأَخْبِرْنَا بِمَا عِنْدَكَ مِنَ ٱلْحِيلَةِ: فَلَمَّا لَمْ يَنْتَهِيَا عَنْ رَأْيِهِمَا. قَالَ لَهُمَا: ٱلْحِيلَةُ فِي ذٰلِكَ أَنْ يَقُومَ ٱلْأَعْمَى وَيَحْمِلَكَ أَيُّهَا ٱلْمُقْعَدُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَيُدْنِيَكَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي تُعْجِبُكَ أَثْمَارُهَا. حَتَّى إِذَا أَدْنَاكَ مِنْهَا. تَجْنِي أَنْتَ مَا أَصَبْتَ مِنَ ٱلثِّمَارِ: فَقَامَ ٱلْأَعْمَى وَحَمَلَ ٱلْمُقْعَدَ. وَجَعَلَ ٱلْمُقْعَدُ يَهْدِيهِ إِلَى ٱلسَّبِيلِ حَتَّى أَدْنَاهُ إِلَى شَجَرَةٍ. فَصَارَ ٱلْمُقْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ. وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ دَأْبَهُمَا حَتَّى أَفْسَدَا مَا فِي ٱلْبُسْتَانِ مِنَ ٱلشَّجَرِ. وَإِذَا بِصَاحِبِ ٱلْبُسْتَانِ قَدْ جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا: وَيْحَكُمَا مَا هٰذِهِ ٱلْفِعَالُ. أَلَمْ أُعَاهِدْكُمَا عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا فِي هٰذَا ٱلْبُسْتَانِ: فَقَالَا لَهُ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّنَا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ. لِأَنَّ أَحَدَنَا مُقْعَدٌ لَا يَقُومُ وَٱلْآخَرَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَمَا ذَنْبُنَا

فَقَالَ لَهُمَا صَاحِبُ ٱلْبُسْتَانِ: لَعَلَّكُمَا تَظُنَّانِ أَنِّي لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا وَكَيْفَ أَفْسَدْتُمَا فِي بُسْتَانِي. كَأَنِّي بِكَ أَيُّهَا ٱلْأَعْمَى قَدْ قُمْتَ وَحَمَلْتَ ٱلْمُقْعَدَ عَلَى ظَهْرِكَ. وَصَارَ يَهْدِيكَ ٱلسَّبِيلَ حَتَّى أَوْصَلْتَهُ إِلَى ٱلشَّجَرِ: ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَهُمَا وَعَاقَبَهُمَا عُقُوبَةً شَدِيدَةً وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ ٱلْبُسْتَانِ

فَٱلْأَعْمَى مِثَالٌ لِلْجَسَدِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِٱلنَّفْسِ. وَٱلْمُقْعَدُ مِثَالٌ

لِلنَّفْسِ ٱلَّتِي لَا حَرَكَةَ لَهَا إِلَّا بِٱلْجَسَدِ. وَأَمَّا ٱلْبُسْتَانُ فَإِنَّهُ مِثَالٌ لِلْعَمَلِ ٱلَّذِي يُجَازَى بِهِ ٱلْعَبْدُ. وَٱلنَّاظِرُ مِثَالٌ لِلْعَقْلِ ٱلَّذِي يَأْمُرُ بِٱلْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ ٱلشَّرِّ. فَٱلرُّوحُ وَٱلْجَسَدُ مُشْتَرِكَانِ فِي ٱلْعِقَابِ وَٱلثَّوَابِ

قَالَ شَمَّاسٌ: صَدَقْتَ وَقَدْ قَبِلْتُ مِنْكَ ذٰلِكَ. فَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلْعَالِمِ ٱلْعَلِيمِ. ذِي ٱلرَّأْيِ ٱلسَّدِيدِ. وَٱلْفِطْنَةِ ٱلْوَقَّادَةِ. وَٱلذِّهْنِ ٱلْفَائِقِ ٱلرَّائِقِ. هَلْ يُغَيِّرُهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحَالَاتِ ٱلَّتِي ذَكَرْتَ

قَالَ ٱلْغُلَامُ: إِنَّ هَاتَيْنِ ٱلْخَصْلَتَيْنِ إِذَا دَخَلَتَا عَلَى ٱلرَّجُلِ غَيَّرَتَا عِلْمَهُ وَفَهْمَهُ. وَرَأْيَهُ وَذِهْنَهُ. وَكَانَ مَثَلُهُ مَثَلَ ٱلْعُقَابِ ٱلْكَاسِرِ ٱلْمُحَاذِرِ عَنِ ٱلْقَنَصِ ٱلْمُقِيمِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ لِفَرْطِ حِذْقِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ نَظَرَ رَجُلًا صَيَّادًا قَدْ نَصَبَ شَرَكَهُ. فَلَمَّا فَرَغَ ٱلرَّجُلُ مِنْ نَصْبِ ٱلشَّرَكِ وَضَعَ فِيهِ قِطْعَةَ لَحْمٍ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَبْصَرَ ٱلْعُقَابُ قِطْعَةَ ٱللَّحْمِ. فَغَلَبَ عَلَيْهِ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ حَتَّى نَسِيَ مَا شَاهَدَ مِنَ ٱلشَّرَكِ وَمِنْ سُوءِ ٱلْحَالِ لِكُلِّ مَا وَقَعَ مِنَ ٱلطَّائِرِ. فَٱنْقَضَّ مِنْ جَوِّ ٱلسَّمَاءِ. حَتَّى وَقَعَ عَلَى قِطْعَةِ ٱللَّحْمِ. فَٱشْتَبَكَ فِي ٱلشَّرَكِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيَّادُ رَأَى ٱلْعُقَابَ فِي شَرَكِهِ. فَتَعَجَّبَ عَجَبًا شَدِيدًا. وَقَالَ: أَنَا نَصَبْتُ شَرَكِي لِيَقَعَ فِيهِ حَمَامٌ أَوْ نَحْوُهُ مِنَ ٱلطُّيُورِ ٱلضَّعِيفَةِ. فَكَيْفَ وَقَعَ فِيهِ هٰذَا ٱلْعُقَابُ

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَتَدَبَّرُ عَاقِبَةَ ذٰلِكَ ٱلْأَمْرِ بِعَقْلِهِ. فَيَمْتَنِعُ مِمَّا حَسَّنَاهُ. وَيَقْهَرُ بِعَقْلِهِ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ. فَإِذَا حَمَلَهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ. يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ ٱلْعَقْلَ مِثْلَ ٱلْفَارِسِ ٱلْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ. إِذَا رَكِبَ ٱلْفَرَسَ ٱلْأَرْعَنَ فَإِنَّهُ يَجْذِبُهُ بِٱللِّجَامِ ٱلشَّدِيدِ

حَتَّى يَسْتَقِيمَ. وَيَمْضِي مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفِيهًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَأْيَ عِنْدَهُ. وَٱلْأُمُورُ مُشْتَبِهَةٌ عَلَيْهِ. وَٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ مُسَلَّطَانِ عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ. فَيَكُونُ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ. وَلَا يَكُونُ فِي ٱلنَّاسِ أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُسْنِ إِصَابَةٍ فِي ٱلْإِجَابَةِ. قَالَ شَمَّاسٌ لِلْمَلِكِ جَلِيعَادَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. أَنْتَ مَلِكُنَا. وَلٰكِنْ نُحِبُّ أَنْ تَعْهَدَ لِوَلَدِكَ بِالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِكَ. وَنَحْنُ ٱلْخَوَلُ وَٱلرَّعِيَّةُ: فَعِنْدَ ذٰلِكَ حَثَّ ٱلْمَلِكُ مَنْ حَضَرَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلنَّاسِ عَلَى أَنَّ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ يَحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْتَثِلُوا أَمْرَ ٱبْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ. لِيَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى مُلْكِ وَالِدِهِ. وَأَخَذَ ٱلْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلشُّجْعَانِ وَٱلشُّيُوخِ وَٱلصِّبْيَانِ وَبَقِيَّةِ ٱلنَّاسِ. أَنْ لَا يَتَخَالَفُوا عَلَيْهِ وَلَا يَنْكُثُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُ. فَلَمَّا أَتَى عَلَى ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً. مَرِضَ ٱلْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى ٱلْمَوْتِ. فَلَمَّا أَيْقَنَ ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ. قَالَ لِأَهْلِهِ: هٰذَا دَاءُ ٱلْمَوْتِ قَدْ نَزَلَ بِي. فَٱدْعُوا لِي أَقَارِبِي وَوَلَدِي وَٱجْمَعُوا لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي. حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَحْضُرُ: فَخَرَجُوا وَنَادَوُا ٱلنَّاسَ ٱلْقَرِيبِينَ. وَأَجْهَرُوا بِٱلنِّدَاءِ لِلنَّاسِ ٱلْبَعِيدِينَ. حَتَّى حَضَرُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَدَخَلُوا عَلَى ٱلْمَلِكِ. ثُمَّ قَالُوا لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ. أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ هٰذَا: قَالَ لَهُمُ ٱلْمَلِكُ: إِنَّ مَرَضِي هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ ٱلسَّهْمُ بِمَا قَدَّرَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَلَيَّ. وَأَنَا ٱلْآنَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْآخِرَةِ: ثُمَّ قَالَ لِٱبْنِهِ: ٱدْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ ٱلْغُلَامُ. وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً

شَدِيدًا . حَتَّى كَادَ أَنْ يَبُلَّ فِرَاشَهُ . وَٱلْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَ . ثُمَّ قَالَ ٱلْمَلِكُ لِوَلَدِهِ : لَا تَبْكِ يَا ٱبْنِي . فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ جَرَى لَهُ هٰذَا ٱلْمَحْتُومُ لِأَنَّهُ سَائِرٌ عَلَى جَمِيعِ مَا خَلَقَهُ ٱللهُ . وَٱعْمَلْ خَيْرًا يَسْبِقُكَ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي تَقْصِدُهُ جَمِيعُ ٱلْخَلَائِقِ . وَلَا تُطِعِ ٱلْهَوَى وَٱشْغَلْ نَفْسَكَ بِذِكْرِ ٱللهِ فِي قِيَامِكَ وَقُعُودِكَ وَيَقَظَتِكَ وَنَوْمِكَ . وَٱجْعَلِ ٱلْحَقَّ نُصْبَ عَيْنِكَ . وَهٰذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ وَٱلسَّلَامُ

فَقَالَ ٱلْغُلَامُ لِأَبِيهِ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِ . أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ مُطِيعًا . وَلِوَصِيَّتِكَ حَافِظًا . وَلِأَمْرِكَ مُنْفِذًا . وَلِرِضَاكَ طَالِبًا . وَأَنْتَ لِي نِعْمَ ٱلْأَبُ . فَكَيْفَ أَخْرُجُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرْضَى بِهِ . وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ تَرْبِيَتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّكَ عَلَيَّ . فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتَكَ صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِيَ ٱلنَّصِيبُ ٱلْأَكْبَرُ : فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ وَهُوَ فِي غَايَةِ ٱلِٱسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ : يَا بُنَيَّ . ٱلْزَمْ عَشَرَ خِصَالٍ يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . وَهُنَّ : إِذَا ٱغْتَظْتَ فَٱكْظِمْ غَيْظَكَ . وَإِذَا بُلِيتَ فَٱصْبِرْ . وَإِذَا نَطَقْتَ فَٱصْدُقْ . وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَوْفِ . وَإِذَا حَكَمْتَ فَٱعْدِلْ . وَإِذَا قَدَرْتَ فَٱعْفُ . وَأَكْرِمْ قُوَّادَكَ . وَٱصْفَحْ عَنْ أَعْدَائِكَ . وَٱبْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ . وَكُفَّ أَذَاكَ عَنْهُ . وَٱلْزَمْ أَيْضًا عَشَرَ خِصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ وَهِيَ : إِذَا قَسَمْتَ فَٱعْدِلْ . وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقٍّ فَلَا تَجَبَّرْ . وَإِذَا عَاهَدْتَ فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ . وَٱقْبَلِ ٱلنُّصْحَ . وَٱتْرُكِ ٱللَّجَاجَةَ . وَٱلْزِمِ ٱلرَّعِيَّةَ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ عَلَى ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ ٱلْحَمِيدَةِ . وَكُنْ حَاكِمًا عَادِلًا بَيْنَ ٱلنَّاسِ . حَتَّى يُحِبَّكَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيَخَافَكَ عَاتِيهِمْ وَمُفْسِدُهُمْ : ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِنَ

ٱلْعُلَمَاءَ وَٱلْأُمَرَاءَ. ٱلَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَهُ لِوَلَدِهِ بِٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ:
إِيَّاكُمْ وَمُخَالَفَةَ أَمْرِ مَلِكِكُمْ. وَتَرْكَ ٱلِٱسْتِمَاعِ لِكَبِيرِكُمْ. فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ هَلَاكًا
لِأَرْضِكُمْ. وَتَفْرِيقًا لِجَمْعِكُمْ. وَضَرَرًا لِأَبْدَانِكُمْ وَتَلَفًا لِأَمْوَالِكُمْ فَتَشْمَتَ بِكُمْ
أَعْدَاؤُكُمْ. وَهَا أَنْتُمْ عَلِمْتُمْ مَا عَاهَدْتُمُونِي عَلَيْهِ. فَهٰكَذَا يَكُونُ عَهْدُكُمْ مَعَ
هٰذَا ٱلْغُلَامِ وَٱلْمِيثَاقُ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ. وَعَلَيْكُمْ
بِٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ. لِأَنَّ فِي ذٰلِكَ صَلَاحَ أَحْوَالِكُمْ. وَٱثْبُتُوا مَعَهُ عَلَى مَا
كُنْتُمْ مَعِي فَتَسْتَقِيمَ أُمُورُكُمْ وَيَحْسُنَ حَالُكُمْ وَهَا هُوَ ذَا مَلِكُكُمْ وَوَلِيُّ نِعْمَتِكُمْ
وَٱلسَّلَامَةُ: ثُمَّ بَعْدَ هٰذَا ٱشْتَدَّتْ بِهِ سَكَرَاتُ ٱلْمَوْتِ. وَٱلْتَجَمَ لِسَانُهُ. فَضَمَّ ٱبْنَهُ
إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ وَشَكَرَ ٱللّٰهَ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ. وَطَلَعَتْ رُوحُهُ. فَنَاحَ عَلَيْهِ جَمِيعُ رَعِيَّتِهِ
وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ كَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ بِإِكْرَامٍ. وَتَبْجِيلٍ وَإِعْظَامٍ. ثُمَّ
رَجَعُوا وَٱلْغُلَامُ مَعَهُمْ. فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةَ ٱلْمُلْكِ. وَتَوَّجُوهُ بِتَاجِ وَالِدِهِ وَأَلْبَسُوهُ
ٱلْخَاتَمَ فِي أُصْبُعِهِ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ. فَسَارَ ٱلْغُلَامُ فِيهِمْ بِسِيرَةِ أَبِيهِ
بِٱلْحِلْمِ وَٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ مُدَّةً يَسِيرَةً. ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَجَذَبَتْهُ
بِشَهَوَاتِهَا. فَٱسْتَغْنَمَ لَذَّاتِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى زَخَارِفِ أُمُورِهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ قَلَّدَهُ
أَبُوهُ مِنَ ٱلْمَوَاثِيقِ. وَنَبَذَ ٱلطَّاعَةَ لِوَالِدِهِ وَأَهْمَلَ مَمْلَكَتَهُ. وَمَشَى فِي مَا فِيهِ
هَلَاكُهُ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ. إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ عَسْفِهِ عَادَ إِلَى حُسْنِ ٱلسِّيرَةِ وَٱلسِّيَاسَةِ.
وَهٰذَا مَا ٱنْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ ٱلْمَلِكِ جِلْيَعَادَ وَوَلَدِهِ. وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ لَا يَنْتَهِي

حِكَايَةُ ٱلطُّيُورِ وَٱلْوُحُوشِ مَعَ ٱبْنِ آدَمَ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ وَسَالِفِ ٱلْعَصْرِ وَٱلْأَوَانِ. طَاوُوسٌ يَأْوِي إِلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ مَعَ زَوْجَتِهِ. وَكَانَ ذَٰلِكَ ٱلْمَوْضِعُ كَثِيرَ ٱلسِّبَاعِ وَفِيهِ مِنْ سَائِرِ ٱلْوُحُوشِ. غَيْرَ أَنَّهُ كَثِيرُ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَنْهَارِ. وَذَٰلِكَ ٱلطَّاوُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ يَأْوِيَانِ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهِمَا مِنَ ٱلْوُحُوشِ. وَيَغْدُوَانِ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ نَهَارًا. وَلَمْ يَزَالَا كَذَٰلِكَ حَتَّى كَثُرَ خَوْفُهُمَا. فَسَارَا يَبْغِيَانِ مَوْضِعًا غَيْرَ مَوْضِعِهِمَا يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ. فَبَيْنَمَا هُمَا يُفَتِّشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ لَهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَنْهَارِ. فَنَزَلَا فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَأَكَلَا مِنْ أَثْمَارِهَا. وَشَرِبَا مِنْ أَنْهَارِهَا. فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَٰلِكَ اذَا بِبَطَّةٍ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا. وَهِيَ فِي شِدَّةِ ٱلْفَزَعِ. وَلَمْ تَزَلْ تَسْعَى حَتَّى أَتَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي عَلَيْهَا ٱلطَّاوُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ. فَٱطْمَأَنَّتْ. فَلَمْ يَشُكَّ ٱلطَّاوُوسُ فِي أَنَّ تِلْكَ ٱلْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ. فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ خَوْفِهَا. فَقَالَتْ: إِنَّنِي مَرِيضَةٌ مِنَ ٱلْحُزْنِ وَخَوْفِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَحَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَنِي آدَمَ: فَقَالَ لَهَا ٱلطَّاوُوسُ: لَا تَخَافِي حَيْثُ وَصَلْتِ إِلَيْنَا: فَقَالَتِ ٱلْبَطَّةُ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي فَرَّجَ هَمِّي وَغَمِّي بِقُرْبِكُمَا. وَقَدْ أَتَيْتُ رَاغِبَةً فِي مَوَدَّتِكُمَا: فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ كَلَامِهَا. نَزَلَتْ إِلَيْهَا زَوْجَةُ ٱلطَّاوُوسِ وَقَالَتْ لَهَا: أَهْلًا وَسَهْلًا. لَا بَأْسَ عَلَيْكِ. وَمِنْ أَيْنَ يَصِلُ إِلَيْنَا ٱبْنُ آدَمَ وَنَحْنُ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلَّتِي فِي وَسَطِ ٱلْبَحْرِ. فَمِنَ ٱلْبَرِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا. وَمِنَ ٱلْبَحْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْنَا. فَأَبْشِرِي وَحَدِّثِينَا بِٱلَّذِي نَزَلَ بِكِ وَٱعْتَرَاكِ

مِنِ ٱبْنِ آدَمَ: فَقَالَتِ ٱلْبَطَّةُ: ٱعْلَمِي أَيَّتُهَا ٱلطَّاوُوسَةُ. أَنَّنِي فِي هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ طُولَ عُمْرِي آمِنَةٌ لَا أَرَى مَكْرُوهًا. فَنِمْتُ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي. فَرَأَيْتُ صُورَةَ ٱبْنِ آدَمَ وَهُوَ يُخَاطِبُنِي وَأُخَاطِبُهُ. وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِي: أَيَّتُهَا ٱلْبَطَّةُ. ٱحْذَرِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. وَلَا تَغْتَرِّي بِكَلَامِهِ. وَلَا بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْكِ. فَإِنَّهُ كَثِيرُ ٱلْحِيَلِ وَٱلْخِدَاعِ. فَٱحْذَرِي كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ مَكْرِهِ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَاكِرٌ. كَمَا قَالَ فِيهِ ٱلشَّاعِرُ

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ ٱللِّسَانِ حَلَاوَةً ... وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ ٱلثَّعْلَبُ

وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ يَحْتَالُ عَلَى ٱلْحِيتَانِ. فَيُخْرِجُهَا مِنَ ٱلْبِحَارِ. وَيَرْمِي ٱلطَّيْرَ بِبُنْدُقَةٍ مِنْ طِينٍ. وَيُوقِعُ ٱلْفِيلَ بِمَكْرِهِ. وَٱبْنُ آدَمَ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِ. وَلَا يَنْجُو طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ. وَقَدْ بَلَّغْتُكِ مَا سَمِعْتُهُ عَنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَٱسْتَيْقَظْتُ مِنْ مَنَامِي خَائِفَةً مَرْعُوبَةً. وَأَنَا إِلَى ٱلْآنَ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرِي خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. لِئَلَّا يَدْهَمَنِي بِحِيلَتِهِ وَيَصِيدَنِي بِحَبَائِلِهِ. وَلَمْ يَأْتِ عَلَيَّ آخِرُ ٱلنَّهَارِ إِلَّا وَقَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي. وَبَطَلَتْ هِمَّتِي. ثُمَّ إِنِّي ٱشْتَقْتُ إِلَى ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ. فَخَرَجْتُ أَتَمَشَّى وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ. وَقَلْبِي مَقْبُوضٌ. فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ. وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ شِبْلًا أَصْفَرَ ٱللَّوْنِ. فَلَمَّا رَآنِي ذٰلِكَ ٱلشِّبْلُ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي وَكَوْنِي لَطِيفَةَ ٱلذَّاتِ. فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي: ٱقْرُبِي مِنِّي. فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ قَالَ لِي: مَا ٱسْمُكِ. وَمَا جِنْسُكِ. فَقُلْتُ لَهُ: ٱسْمِي بَطَّةٌ. وَأَنَا مِنْ جِنْسِ ٱلطُّيُورِ. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: مَا سَبَبُ قُعُودِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْوَقْتِ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ. فَقَالَ ٱلشِّبْلُ: سَبَبُ ذٰلِكَ. أَنَّ وَالِدِيَ ٱلْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ وَهُوَ يُحَذِّرُنِي مِنْ

ٱبْنِ آدَمَ. فَٱتَّفَقَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ فِي مَنَامِي صُورَةَ ٱبْنِ آدَمَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ حَكَى لِي نَظِيرَ مَا حَكَيْتُهُ لَكِ

فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ. قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ: إِنِّي قَدْ لَجَأْتُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تَقْتُلَ ٱبْنَ آدَمَ. فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا. وَٱزْدَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ مَعَ أَنَّكَ سُلْطَانُ ٱلْوُحُوشِ. وَمَا زِلْتُ يَا أُخْتِي أُحَذِّرُ ٱلشِّبْلَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. وَأُوصِيهِ بِقَتْلِهِ. حَتَّى قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي كَانَ فِيهِ. وَتَمَشَّى وَتَمَشَّيْتُ وَرَاءَهُ. فَفَرْقَعَ بِذَنَبِهِ عَلَى ظَهْرِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أَمْشِي وَرَاءَهُ إِلَى مَفْرِقِ ٱلطَّرِيقِ. فَوَجَدْنَا غَبَرَةً طَارَتْ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ. فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا حِمَارٌ شَارِدٌ عُرْيَانٌ. وَهُوَ تَارَةً يَقْمِصُ وَيَجْرِي. وَتَارَةً يَتَمَرَّغُ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلْأَسَدُ صَاحَ عَلَيْهِ. فَأَتَى إِلَيْهِ خَاضِعًا. فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْحَيَوَانُ ٱلْخَرِفُ ٱلْعَقْلِ. مَا جِنْسُكَ. وَمَا سَبَبُ قُدُومِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ: فَقَالَ لَهُ: يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ أَنَا جِنْسِي حِمَارٌ. وَسَبَبُ قُدُومِي إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ هَرَبِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ: فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ: وَهَلْ أَنْتَ خَائِفٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ أَنْ يَقْتُلَكَ: فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ: لَا يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ. وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَيَّ وَيَرْكَبَنِي. لِأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلْبَرْذَعَةَ فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي. وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلْحِزَامَ. فَيَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِي. وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱللِّجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي. وَيَعْمَلُ لِي مِنْخَاسًا يَنْخَسُنِي بِهِ. وَيُكَلِّفُنِي مَا لَا أُطِيقُ مِنَ ٱلْجَرْيِ. وَإِذَا عَثَرْتُ لَعَنَنِي. وَإِنْ نَهَقْتُ شَتَمَنِي وَبَعْدَ ذٰلِكَ إِذَا كَبِرْتُ. وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلْجَرْيِ. يَجْعَلُ لِي رَحْلًا مِنَ ٱلْخَشَبِ وَيُسَلِّمُنِي إِلَى ٱلسَّقَّائِينَ فَيَحْمِلُونَ ٱلْمَاءَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ ٱلْبَحْرِ فِي ٱلْقِرَبِ وَنَحْوِهَا كَٱلْجِرَارِ وَلَا أَزَالُ

فِي ذُلٍّ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ ٱلتِّلَالِ لِلْكِلَابِ. فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هٰذَا ٱلْهَمِّ. وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَصَائِبِ

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَيَّتُهَا ٱلطَّاوُوسَةُ كَلَامَ ٱلْحِمَارِ ٱقْشَعَرَّ جَسَدِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَقُلْتُ لِلشِّبْلِ: يَا سَيِّدِي إِنَّ ٱلْحِمَارَ مَعْذُورٌ. وَقَدْ زَادَنِي كَلَامُهُ رُعْبًا عَلَى رُعْبِي: فَقَالَ ٱلشِّبْلُ لِلْحِمَارِ: إِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَائِرٌ: فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ: إِنِّي نَظَرْتُ ٱبْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ ٱلشَّمْسِ مِنْ بَعِيدٍ. فَفَرَرْتُ هَرَبًا مِنْهُ. وَهَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ. وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِي مِنْ شِدَّةِ خَوْفِي مِنْهُ. لَعَلِّي أَجِدُ لِي مَوْضِعًا يَأْوِينِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ ٱلْغَدَّارِ

فَبَيْنَمَا ذٰلِكَ ٱلْحِمَارُ يَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلشِّبْلِ فِي ذٰلِكَ ٱلْكَلَامِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُوَدِّعَنَا وَيَرُوحَ. إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غَبَرَةٌ. وَنَظَرَ ٱلْحِمَارُ بِعَيْنِهِ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلْغَبَرَةِ. فَنَهَقَ وَصَاحَ. وَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ عَنْ فَرَسٍ أَدْهَمَ بِغُرَّةٍ كَٱلدِّرْهَمِ. وَذٰلِكَ ٱلْفَرَسُ ظَرِيفُ ٱلْغُرَّةِ مَلِيحُ ٱلتَّحْجِيلِ حَسَنُ ٱلْقَوَائِمِ وَٱلصَّهِيلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلشِّبْلِ ٱبْنِ ٱلْأَسَدِ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلشِّبْلُ ٱسْتَعْظَمَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا جِنْسُكَ أَيُّهَا ٱلْوَحْشُ ٱلْجَلِيلُ. وَمَا سَبَبُ شُرُودِكَ فِي هٰذَا ٱلْبَرِّ ٱلْعَرِيضِ ٱلطَّوِيلِ: فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ. أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ ٱلْخَيْلِ. وَسَبَبُ شُرُودِي هَرَبِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ: فَتَعَجَّبَ ٱلشِّبْلُ مِنْ كَلَامِ ٱلْفَرَسِ وَقَالَ لَهُ: لَا تَقُلْ هٰذَا ٱلْكَلَامَ. فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ: وَأَنْتَ طَوِيلٌ غَلِيظٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ مَعَ عِظَمِ جُثَّتِكَ. وَسُرْعَةِ جَرْيِكَ: وَأَنَا مَعَ صِغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَقِيَ مَعَ ٱبْنِ آدَمَ فَأَبْطِشَ بِهِ وَآكُلَ لَحْمَهُ وَأُسَكِّنَ رَوْعَ هٰذِهِ ٱلْبَطَّةِ ٱلْمِسْكِينَةِ

وَأُقِرُّهَا فِي وَطَنِهَا. وَهَا أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ وَأَرْجَعْتَنِي عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مَعَ عِظَمِكَ قَدْ قَهَرَكَ ٱبْنُ آدَمَ. وَلَمْ يَخَفْ مِنْ طُولِكَ وَعَرْضِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْقِيهِ كَأْسَ ٱلرَّدَى: فَضَحِكَ ٱلْفَرَسُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ ٱلشِّبْلِ وَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ. فَلَا يَغُرُّكَ طُولِي وَلَا عَرْضِي وَلَا ضَخَامَتِي مَعَ ٱبْنِ آدَمَ. لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حِيَلِهِ وَمَكْرِهِ يَصْنَعُ لِي شَيْئًا يُقَالُ لَهُ ٱلشِّكَالُ. وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِمِي شِكَالَيْنِ مِنْ حِبَالِ ٱللِّيفِ ٱلْمَلْفُوفَةِ بِٱللُّبَّادِ وَيَصْلِبُنِي مِنْ رَأْسِي فِي وَتَدٍ عَالٍ وَأَبْقَى وَاقِفًا وَأَنَا مَصْلُوبٌ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَنَامَ. وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَنِي يَعْمَلُ لِي شَيْئًا فِي رِجْلَيْهِ مِنَ ٱلْحَدِيدِ ٱسْمُهُ ٱلرِّكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي شَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلسَّرْجَ وَيَشُدُّهُ بِحِزَامَيْنِ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَمِي شَيْئًا مِنَ ٱلْحَدِيدِ يُسَمِّيهِ ٱللِّجَامَ وَيَضَعُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ ٱلْجِلْدِ يُسَمِّيهِ ٱلصَّرْعَ. فَإِذَا رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِي عَلَى ٱلسَّرْجِ يُمْسِكُ ٱلصَّرْعَ بِيَدِهِ وَيَقُودُنِي بِهِ وَيَهْمِزُنِي بِٱلرِّكَابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى يُدْمِيَهَا. وَلَا تَسْأَلْ يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ عَمَّا أُقَاسِيهِ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَإِذَا كَبِرْتُ وَٱنْتَحَلَ ظَهْرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ ٱلْجَرْيِ. يَبِيعُنِي لِلطَّحَّانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي ٱلطَّاحُونِ. فَلَا أَزَالُ دَائِرًا فِيهَا لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحُنِي وَيَسْلَخُ جِلْدِي وَيَنْتِفُ ذَنَبِي وَيَبِيعُهَا لِلْغَرَابِلِيِّ وَٱلْمَنَاخِلِيِّ وَيَسْلَأُ شَحْمِي

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ كَلَامَ ٱلْفَرَسِ ٱزْدَادَ غَيْظًا وَغَمًّا وَقَالَ لَهُ: مَتَى فَارَقْتَ ٱبْنَ آدَمَ: قَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ ٱلنَّهَارِ وَهُوَ فِي أَثَرِي: فَبَيْنَمَا ٱلشِّبْلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلْفَرَسِ بِهٰذَا ٱلْكَلَامِ إِذَا بِغَبَرَةٍ ثَارَتْ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ وَبَانَ

مِنْ تَحْتِهَا جَمَلٌ هَائِجٌ وَهُوَ يَنْعَبِعُ وَيَخْبِطُ بِرِجْلَيْهِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ كَذٰلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا . فَلَمَّا رَآهُ ٱلشِّبْلُ كَبِيرًا غَلِيظًا ظَنَّ أَنَّهُ ٱبْنُ آدَمَ فَأَرَادَ ٱلْوُثُوبَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ . إِنَّ هٰذَا مَا هُوَ ٱبْنُ آدَمَ . وَإِنَّمَا هٰذَا جَمَلٌ وَكَأَنَّهُ هَارِبٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ : فَبَيْنَمَا أَنَا يَا أُخْتِي مَعَ ٱلشِّبْلِ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ . وَإِذَا بِٱلْجَمَلِ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيَادِي ٱلشِّبْلِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ وَقَالَ لَهُ : مَا سَبَبُ مَجِيئِكَ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ : قَالَ : جِئْتُ هَارِبًا مِنِ ٱبْنِ آدَمَ : قَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ : وَأَنْتَ مَعَ عِظَمِ خِلْقَتِكَ وَطُولِكَ وَعَرْضِكَ كَيْفَ تَخَافُ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَصْتَهُ بِرِجْلِكَ رَفْصَةً لَقَتَلْتَهُ : فَقَالَ لَهُ ٱلْجَمَلُ : يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ . ٱعْلَمْ أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاهٍ لَا تُطَاقُ وَمَا يَغْلِبُهُ إِلَّا ٱلْمَوْتُ . لِأَنَّهُ يَضَعُ فِي أَنْفِي خَيْطًا وَيُسَمِّيهِ خِزَامًا وَيَجْعَلُ فِي رَأْسِي مِقْوَدًا وَيُسَلِّمُنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَجُرُّنِي ٱلْوَلَدُ ٱلصَّغِيرُ بِٱلْخَيْطِ مَعَ كِبَرِي وَعِظَمِي وَيُحَمِّلُونِي أَثْقَلَ ٱلْأَحْمَالِ وَيُسَافِرُونَ بِي ٱلْأَسْفَارَ ٱلطِّوَالَ وَيَسْتَعْمِلُونَنِي فِي ٱلْأَشْغَالِ ٱلشَّاقَّةِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ . وَإِذَا كَبُرْتُ وَشِخْتُ أَوِ ٱنْكَسَرْتُ . فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحُنِي وَيَبِيعُ جِلْدِي لِلدَّبَّاغِينَ وَلَحْمِي لِلطَّبَّاخِينَ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا أُقَاسِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ : فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ : أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ٱبْنَ آدَمَ : فَقَالَ : فَارَقْتُهُ وَقْتَ ٱلْغُرُوبِ . وَأَظُنُّهُ يَأْتِي عِنْدَ ٱنْصِرَافِي . فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْعَى فِي طَلَبِي . فَدَعْنِي يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ حَتَّى أَهِجَّ فِي ٱلْبَرَارِ وَٱلْقِفَارِ : فَقَالَ ٱلشِّبْلُ : تَمَهَّلْ قَلِيلًا يَا جَمَلُ . حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأُطْعِمُكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأَهْشِمُ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ : فَقَالَ لَهُ ٱلْجَمَلُ : يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ . أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ

. .. .

مَاكِرٌ. ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ

إِذَا حَلَّ ٱلثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى ٱلرَّحِيلِ

فَبَيْنَمَا ٱلْجَمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلشِّبْلِ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ. وَإِذَا بِغَبَرَةٍ طَلَعَتْ. وَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَقِيقِ ٱلْبَشَرَةِ. عَلَى كَتِفِهِ مِقْطَفٌ فِيهِ عُدَّةُ نَجَّارٍ. وَعَلَى رَأْسِهِ شُعْبَةٌ وَثَمَانِيَةُ أَلْوَاحٍ. وَبِيَدِهِ أَقْفَالٌ صِغَارٌ. وَهُوَ يُهَرْوِلُ فِي مَشْيِهِ. وَمَا زَالَ يَمْشِي حَتَّى قَرُبَ مِنَ ٱلشِّبْلِ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ يَا أُخْتِي. وَقَعْتُ مِنْ شِدَّةِ ٱلْخَوْفِ. وَأَمَّا ٱلشِّبْلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَتَمَشَّى إِلَيْهِ وَلَاقَاهُ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ضَحِكَ ٱلنَّجَّارُ فِي وَجْهِهِ. وَقَالَ لَهُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْجَلِيلُ. صَاحِبُ ٱلْبَاعِ ٱلطَّوِيلِ. أَسْعَدَ ٱللهُ مَسَاءَكَ وَمَسْعَاكَ. وَزَادَ فِي شَجَاعَتِكَ وَقُوَاكَ. أَجِرْنِي مِمَّا دَهَانِي. وَبِشَرِّهِ رَمَانِي. لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ لِي نَصِيرًا غَيْرَكَ: ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْأَسَدِ وَبَكَى. وَأَنَّ وَٱشْتَكَى. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ بُكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ. قَالَ لَهُ: أَجَرْتُكَ مِمَّا تَخْشَاهُ. فَمَنِ ٱلَّذِي قَدْ ظَلَمَكَ. وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيُّهَا ٱلْوَحْشُ. ٱلَّذِي مَا رَأَيْتُ عُمْرِي مِثْلَكَ. وَلَا أَحْسَنَ صُورَةً. وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ. فَمَا شَأْنُكَ: فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ: أَمَّا أَنَا فَنَجَّارٌ: وَأَمَّا ٱلَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ ٱبْنُ آدَمَ وَفِي صَبَاحِ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ مِنَ ٱلنَّجَّارِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ. تَبَدَّلَ ٱلضِّيَاءُ فِي وَجْهِهِ بِٱلظَّلَامِ. وَشَخَرَ وَنَخَرَ وَٱرْتَمَتْ عَيْنَاهُ بِٱلشَّرَرِ. وَصَاحَ وَقَالَ: وَٱللهِ لَأَسْهَرَنَّ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ إِلَى ٱلصَّبَاحِ. وَلَا أَرْجِعُ إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصِدِي: ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلنَّجَّارِ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَى خُطُوَاتِكَ قَصِيرَةً وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْسِرَ بِخَاطِرِكَ. لِأَنِّي ذُو مُرُوَّةٍ

وَأَظُنُّ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ تُمَاشِي ٱلْوُحُوشَ. فَأَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ: فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: اعْلَمْ أَنَّنِي رَائِحٌ إِلَى وَزِيرِ وَالِدِكَ ٱلْفَهْدِ. لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ دَاسَ هٰذِهِ ٱلْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا عَظِيمًا وَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولًا مِنَ ٱلْوُحُوشِ لِأَصْنَعَ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ. فَلَمَّا جَاءَنِي ٱلرَّسُولُ أَخَذْتُ هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ كَلَامَ ٱلنَّجَّارِ. أَخَذَهُ ٱلْحَسَدُ لِلْفَهْدِ. فَقَالَ لَهُ: بِحَيَاتِي لَا بُدَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ بَيْتًا قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ بَيْتَهُ. وَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ شُغْلِي فَٱمْضِ إِلَى ٱلْفَهْدِ وَٱصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّجَّارُ مِنَ ٱلشِّبْلِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ قَالَ لَهُ: يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ: مَا أَقْدِرُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يُرِيدُ. ثُمَّ أَجِيءُ إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا يُحَصِّنُكَ مِنْ عَدُوِّكَ: فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ: وَٱللهِ مَا أُخَلِّيكَ تَرُوحُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ بَيْتًا: ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ هَمَّ عَلَى ٱلنَّجَّارِ وَوَثَبَ عَلَيْهِ. وَأَرَادَ أَنْ يَمْزَحَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى ٱلْمِقْطَفَ مِنْ عَلَى كَتِفِهِ وَوَقَعَ ٱلنَّجَّارُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَضَحِكَ ٱلشِّبْلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا نَجَّارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْذُورٌ إِذْ خِفْتَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ: فَلَمَّا وَقَعَ ٱلنَّجَّارُ عَلَى ظَهْرِهِ. ٱغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا وَلٰكِنَّهُ كَتَمَ ذٰلِكَ عَنِ ٱلشِّبْلِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ. فَقَعَدَ ٱلنَّجَّارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ ٱلْبَيْتَ: ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ تَنَاوَلَ ٱلْأَلْوَاحَ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ ٱلْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ ٱلْقَالِبِ عَلَى قِيَاسِ ٱلشِّبْلِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحًا. لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى صُورَةِ ٱلصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ طَاقَةً كَبِيرَةً وَجَعَلَ لَهَا غِطَاءً كَبِيرًا وَثَقَبَ فِيهِ ثُقَبًا كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا

مَسَامِيرَ مُطَرَّقَةً وَقَالَ لِلشِّبْلِ: ٱدْخُلْ فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ مِنْ هٰذِهِ ٱلطَّاقَةِ حَتَّى أَقِيسَهُ عَلَيْكَ: فَفَرِحَ ٱلشِّبْلُ بِذٰلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ ٱلطَّاقَةِ فَرَآهَا ضَيِّقَةً. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: ٱدْخُلْ وَٱبْرُكْ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ: فَفَعَلَ ٱلشِّبْلُ ذٰلِكَ وَدَخَلَ ٱلصُّنْدُوقَ فَبَقِيَ ذَنَبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ. فَأَرَادَ ٱلشِّبْلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَى وَرَائِهِ وَيَخْرُجَ. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: أَمْهِلْ وَٱصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ يَسَعُ ذَنَبُكَ مَعَكَ: فَٱمْتَثَلَ ٱلشِّبْلُ أَمْرَهُ. ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ لَفَّ ذَنَبَ ٱلشِّبْلِ وَحَشَاهُ فِي ٱلصُّنْدُوقِ وَرَدَّ ٱللَّوْحَ عَلَى ٱلطَّاقَةِ سَرِيعًا وَسَمَّرَهُ. فَصَاحَ ٱلشِّبْلُ قَائِلًا: يَا نَجَّارُ مَا هٰذَا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي صَنَعْتَهُ لِي. دَعْنِي أَخْرُجْ مِنْهُ: فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: هَيْهَاتَ. هَيْهَاتَ. لَا يَنْفَعُ ٱلنَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ: ثُمَّ ضَحِكَ ٱلنَّجَّارُ وَقَالَ لِلشِّبْلِ: إِنَّكَ وَقَعْتَ فِي ٱلْقَفَصِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَقْفَاصِ يَا أَخْبَثَ ٱلْوُحُوشِ: فَقَالَ: يَا أَخِي مَا هٰذَا ٱلْخِطَابُ ٱلَّذِي تُخَاطِبُنِي بِهِ: فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: ٱعْلَمْ يَا كَلْبَ ٱلْبَرِّ. أَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ ٱلْقَدَرُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ ٱلْحَذَرُ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ كَلَامَهُ يَا أُخْتِي عَلِمَ أَنَّهُ ٱبْنُ آدَمَ ٱلَّذِي حَذَّرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي ٱلْيَقَظَةِ وَٱلْهَاتِفُ فِي ٱلْمَنَامِ. وَأَنَا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ وَخِفْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا عَظِيمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيلًا وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِٱلشِّبْلِ. فَرَأَيْتُ يَا أُخْتِي ٱبْنَ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلصُّنْدُوقِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلشِّبْلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ ٱلْحُفْرَةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ ٱلْحَطَبَ وَأَحْرَقَهُ بِٱلنَّارِ. فَكَبُرَ يَا أُخْتِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ

فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ مِنَ ٱلْبَطَّةِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ. تَعَجَّبَتْ مِنْهُ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ.

وَقَالَتْ : يَاأُخْتِي . إِنَّكِ آمِنَةٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . لِأَنَّنَا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ ٱلْبَحْرِ . لَيْسَ لِٱبْنِ آدَمَ فِيهَا مَسْلَكٌ . فَٱخْتَارِي ٱلْمُقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يُسَهِّلَ ٱللهُ أَمْرَكِ وَأَمْرَنَا : قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ . وَٱلْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ آبِقٌ : فَقَالَتِ : ٱقْعُدِي عِنْدَنَا . وَأَنْتِ مِثْلُنَا : وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ وَقَالَتْ : يَاأُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ قِلَّةَ صَبْرِي . وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُكِ هُنَا مَا كُنْتُ قَعَدْتُ : فَقَالَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ : إِنْ كَانَ عَلَى جَبِينِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ . وَإِنْ كَانَ دَنَا أَجَلُنَا فَمَنْ يُخَلِّصُنَا . وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا : فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ . إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمَا غَبَرَةٌ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَاحَتِ ٱلْبَطَّةُ وَنَزَلَتْ فِي ٱلْبَحْرِ . وَقَالَتِ : ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفَرٌّ مِنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ : فَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ . وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَبْيٌ . فَٱطْمَأَنَّتِ ٱلْبَطَّةُ وَٱلطَّاوُوسَةُ . ثُمَّ قَالَتْ لِلْبَطَّةِ : يَاأُخْتِي إِنَّ ٱلَّذِي نَصِرْتِ وَحَذِرْتِ مِنْهُ ظَبْيٌ وَهَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَنَا . فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ . لِأَنَّ ٱلظَّبْيَ إِنَّمَا يَأْكُلُ ٱلْحَشَائِشَ مِنْ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ . وَكَمَا أَنْتِ مِنْ جِنْسِ ٱلطَّيْرِ . هُوَ ٱلْآخَرُ مِنْ جِنْسِ ٱلْوُحُوشِ . فَٱطْمَأَنِّي وَلَا تَهْتَمِّي . فَإِنَّ ٱلْهَمَّ يُنْحِلُ ٱلْبَدَنَ : فَلَمْ تُتِمَّ ٱلطَّاوُوسَةُ كَلَامَهَا . حَتَّى وَصَلَ ٱلظَّبْيُ إِلَيْهِمَا . يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ . فَلَمَّا رَأَى ٱلطَّاوُوسَةَ وَٱلْبَطَّةَ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا . وَقَالَ لَهُمَا : إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْيَوْمَ . فَلَمْ أَرَ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكَنًا : ثُمَّ دَعَاهُمَا لِمُرَافَقَتِهِ وَمُصَافَاتِهِ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْبَطَّةُ وَٱلطَّاوُوسَةُ تَوَدُّدَهُ إِلَيْهِمَا أَقْبَلَتَا عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي عِشْرَتِهِ . فَتَصَادَقُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى ذٰلِكَ . وَصَارَ مَبِيتُهُمْ وَاحِدًا . وَمَأْكَلُهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ سَوَاءً وَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ آكِلِينَ شَارِبِينَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ

سَفِينَةٌ كَانَتْ تَائِهَةً فِي ٱلْبَحْرِ. فَأَرْسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ ٱلنَّاسُ وَتَفَرَّقُوا فِي ٱلْجَزِيرَةِ. فَرَأَوْا ٱجْتِمَاعَ ٱلظَّبْيِ وَٱلطَّاوُوسَةِ وَٱلْبَطَّةِ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَأَتْهُمُ ٱلطَّاوُوسَةُ صَعِدَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ. ثُمَّ طَارَتْ فِي ٱلْجَوِّ وَشَرَدَ ٱلظَّبْيُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فَبَقِيَتِ ٱلْبَطَّةُ مُخَبَّلَةً. وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى صَادُوهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً: لَمْ يَنْفَعْنِي ٱلْحَذَرُ مِنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ: وَٱنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ. فَلَمَّا رَأَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ مَا جَرَى لِلْبَطَّةِ. ٱرْتَحَلَتْ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ وَقَالَتْ: لَا أَرَى ٱلْآفَاتِ إِلَّا مُرَاصِدَةً لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هٰذِهِ ٱلسَّفِينَةُ مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هٰذِهِ ٱلْبَطَّةِ ٱفْتِرَاقٌ. وَلَقَدْ كَانَتْ مِنْ خِيَارِ ٱلْأَصْدِقَاءِ: ثُمَّ طَارَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ وَٱجْتَمَعَتْ بِٱلظَّبْيِ. فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَهَنَّأَهَا بِٱلسَّلَامَةِ وَسَأَلَهَا عَنِ ٱلْبَطَّةِ. فَقَالَتْ لَهُ: أَخَذَهَا ٱلْعَدُوُّ وَكَرِهْتُ ٱلْمُقَامَ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا: ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ ٱلْبَطَّةِ وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ قَطَّعَ قَلْبِي   قَطَّعَ ٱللهُ قَلْبَ يَوْمِ ٱلْفِرَاقِ

ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هٰذَا ٱلْبَيْتَ:

تَمَنَّيْتُ ٱلْوِصَالَ يَعُودُ يَوْمًا   لِأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ ٱلْفِرَاقُ

فَٱغْتَمَّ ٱلظَّبْيُ غَمًّا شَدِيدًا. ثُمَّ عَزَمَ ٱلطَّاوُوسَةَ عَنِ ٱلرَّحِيلِ فَأَقَامَتْ مَعَ ٱلظَّبْيِ آمِنَيْنِ آكِلَيْنِ شَارِبَيْنِ. غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا حَزِينَيْنِ عَلَى فِرَاقِ ٱلْبَطَّةِ. فَقَالَ ٱلظَّبْيُ لِلطَّاوُوسَةِ: يَا أُخْتِي. قَدْ عَلِمْتِ أَنَّ ٱلنَّاسَ ٱلَّذِينَ طَلَعُوا لَنَا مِنَ ٱلْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا وَلِهَلَاكِ ٱلْبَطَّةِ فَٱحْذَرِيهِمْ وَٱحْتَرِسِي مِنْهُمْ وَمِنْ مَكْرِ بَنِي آدَمَ وَخِدَاعِهِ: قَالَتْ: قَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنْ مَا قَتَلَهَا غَيْرُ تَرْكِهَا ٱلتَّسْبِيحَ وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكِ مِنْ تَرْكِكِ ٱلتَّسْبِيحَ. لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

اللهُ يُسَبِّحُهُ. فَإِنْ غَفَلَ عَنِ التَّسْبِيحِ عُوقِبَ بِهَلَاكِهِ: فَلَمَّا سَمِعَ الظَّبْيُ كَلَامَ الطَّاوُوسَةِ قَالَ: أَحْسَنَ اللهُ صُورَتَكِ: وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيحِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ سَاعَةً.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَسْبِيحَ الظَّبْيِ: سُبْحَانَ الدَّيَّانِ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالسُّلْطَانِ

حِكَايَةُ الطُّيُورِ

زَعَمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ الطُّيُورِ. طَارَ وَعَلَا إِلَى الْجَوِّ. ثُمَّ أَنْقَضَّ عَلَى صَخْرَةٍ فِي وَسَطِ الْمَاءِ وَكَانَ الْمَاءُ جَارِيًا. فَبَيْنَمَا الطَّائِرُ وَاقِفٌ إِذَا هُوَ بِرِمَّةِ إِنْسَانٍ جَرَّهَا الْمَاءُ حَتَّى أَسْنَدَهَا إِلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ وَقَدِ انْتَفَخَتْ وَارْتَفَعَتْ. فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ الْمَاءِ وَتَأَمَّلَهَا فَرَآهَا رِمَّةَ ابْنِ آدَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرْبَ سُيُوفٍ وَطَعْنَ رِمَاحٍ. فَقَالَ طَيْرُ الْمَاءِ فِي نَفْسِهِ: أَظُنُّ أَنَّ هٰذَا الْمَقْتُولَ كَانَ شِرِّيرًا فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَقَتَلُوهُ وَاسْتَرَاحُوا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ: وَلَمْ يَزَلْ طَيْرُ الْمَاءِ حَائِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذَا بِنُسُورٍ وَعِقْبَانٍ أَحَاطُوا بِتِلْكَ الْجِيفَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا. فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ طَيْرُ الْمَاءِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ: لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْإِقَامَةِ فِي هٰذَا الْمَكَانِ. ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يُفَتِّشُ عَلَى مَوْضِعٍ يَأْوِيهِ إِلَى حِينِ تَنْفَدُ تِلْكَ الْجِيفَةُ وَتَرُوحُ سِبَاعُ الطُّيُورِ عَنْهَا. وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسَطِهِ شَجَرَةٌ. فَنَزَلَ عَلَيْهَا مُتَغَيِّرًا كَئِيبًا حَزِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا زَالَتِ الْأَحْزَانُ تَتْبَعُنِي وَكُنْتُ قَدِ اسْتَرَحْتُ لَمَّا رَأَيْتُ تِلْكَ الْجِيفَةَ وَفَرِحْتُ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَقُلْتُ: هٰذَا رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ. فَصَارَ فَرَحِي غَمًّا وَسُرُورِي حَزَنًا وَهَمًّا. فَأَخَذَتْهَا وَافْتَرَسَتْهَا سِبَاعُ الطُّيُورِ مِنِّي وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَهَا. فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ سَالِمًا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكَدَرِ وَأَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا. وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ:

ٱلدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ. يَغْتَرُّ بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ. وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِمَالِهِ وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ. وَلَمْ يَزَلِ ٱلْمُغْتَرُّ بِهَا رَاكِنًا إِلَيْهَا يَخْتَالُ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا وَيَحْثُو عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ أَعَزُّ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدَيْهِ. وَمَا لِلْفَتَى خَيْرٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ عَلَى هُمُومِهَا وَمَكَارِهِهَا. وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ كَارِهًا بِفُرْقَةِ إِخْوَانِي وَأَحِبَّائِي وَخُلَّانِي

فَبَيْنَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا بِذَكَرٍ مِنَ ٱلسَّلَاحِفِ أَقْبَلَ مُنْحَدِرًا فِي ٱلْمَاءِ وَدَنَا مِنْ طَيْرِ ٱلْمَاءِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا سَيِّدِي مَا ٱلَّذِي حَجَبَكَ وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَوْضِعِكَ: قَالَ: حُلُولُ ٱلْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى مُجَاوَرَةِ عَدُوِّهِ. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ

إِذَا حَلَّ ٱلثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى ٱلرَّحِيلِ

فَقَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ: إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَٱلْحَالُ مِثْلَ مَا ذَكَرْتَهُ. فَأَنَا لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أُفَارِقُكَ لِأَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ وَأَفِيَ بِخِدْمَتِكَ. فَإِنَّهُ قِيلَ: لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةِ ٱلْغَرِيبِ ٱلْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ فُرْقَةَ ٱلصَّالِحِينَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ. وَأَحْسَنُ مَا يُسَلِّي بِهِ ٱلْعَاقِلُ نَفْسَهُ ٱلِٱسْتِئْنَاسُ فِي ٱلْغُرْبَةِ وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلرَّزِيَّةِ وَٱلْكُرْبَةِ. وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبَتِي مَعَكَ. وَأَكُونُ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا: فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ مَقَالَةَ ٱلْغَيْلَمِ. قَالَ لَهُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ. وَلَعَمْرِي إِنِّي وَجَدْتُ لِلْفِرَاقِ أَلَمًا وَغَمًّا مُدَّةَ بُعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَّانِي لِأَنَّ فِي ٱلْفِرَاقِ عِبْرَةً لِمَنِ ٱعْتَبَرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ. وَإِذَا لَمْ يَجِدِ ٱلْفَتَى مَنْ يُسَلِّيهِ مِنَ ٱلْأَصْحَابِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ ٱلْخَيْرُ أَبَدًا وَيَثْبُتُ ٱلشَّرُّ سَرْمَدًا. وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ إِلَّا

ٱلتَّسَلِّي بِٱلْإِخْوَانِ عَنِ ٱلْهُمُومِ فِي جَمِيعِ ٱلْأَحْوَالِ. وَمُلَازَمَةُ ٱلصَّبْرِ وَٱلتَّجَلُّدِ. فَإِنَّهُمَا خَصْلَتَانِ مَحْمُودَتَانِ. يُعِينَانِ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ وَنَوَائِبِ ٱلدَّهْرِ. وَيَدْفَعَانِ ٱلْفَزَعَ وَٱلْجَزَعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ: فَقَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ: إِيَّاكَ وَٱلْجَزَعَ. فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ عَيْشَكَ. وَيُذْهِبُ مُرُوءَتَكَ: وَمَا زَالَا يَتَحَدَّثَانِ مَعَ بَعْضِهِمَا. إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ لِلْغَيْلَمِ: أَنَا لَمْ أَزَلْ أَخْشَى نَوَائِبَ ٱلزَّمَانِ وَطَوَارِقَ ٱلْحِدْثَانِ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْغَيْلَمُ مَقَالَةَ طَيْرِ ٱلْمَاءِ. أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. وَقَالَ لَهُ: لَمْ تَزَلْ جَمَاعَةُ ٱلطَّيْرِ تَتَبَرَّكُ بِكَ وَتَعْرِفُ فِي مَشُورَتِكَ ٱلْخَيْرَ. فَكَيْفَ تَحْمِلُ ٱلْهَمَّ وَٱلضَّيْرَ: وَلَمْ يَزَلْ يُسَكِّنُ رَوْعَ طَيْرِ ٱلْمَاءِ حَتَّى ٱطْمَأَنَّ. ثُمَّ إِنَّ طَيْرَ ٱلْمَاءِ طَارَ إِلَى مَكَانِ ٱلْجِيفَةِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ. لَمْ يَرَ مِنْ سِبَاعِ ٱلطَّيْرِ شَيْئًا. وَلَا مِنْ تِلْكَ ٱلْجِيفَةِ إِلَّا عِظَامًا فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ ٱلْغَيْلَمَ بِزَوَالِ ٱلْعَدُوِّ مِنْ مَكَانِهِ. وَقَالَ لَهُ: ٱعْلَمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلرُّجُوعَ إِلَى مَكَانِي. لِأَتَمَلَّى بِخُلَّانِي. فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ: فَأَتَيَا إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا مِمَّا يَخَافَانِ مِنْهُ فَأَنْشَدَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ يَقُولُ:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا ٱلْفَتَى ... ذَرْعًا وَعِنْدَ ٱللهِ مِنْهَا ٱلْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا ٱسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثُمَّ إِنَّهُمَا سَكَنَا فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ. فَبَيْنَمَا طَيْرُ ٱلْمَاءِ مَسْرُورٌ آمِنٌ. إِذْ سَاقَ ٱلْقَضَاءُ إِلَيْهِ بَازِيًا جَائِعًا. فَضَرَبَهُ بِمِخْلَبِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً فَقَتَلَهُ. وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ ٱلْحَذَرُ عِنْدَ فَرَاغِ ٱلْأَجَلِ. وَسَبَبُ قَتْلِهِ غَفْلَتُهُ عَنِ ٱلتَّسْبِيحِ. قِيلَ إِنَّ تَسْبِيحَهُ. سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا قَدَّرَ وَدَبَّرَ. سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَغْنَى وَأَفْقَرَ. هٰذَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيْرِ ٱلْمَاءِ وَجَوَارِحِ ٱلطُّيُورِ

ٱلدَّرَّاجُ وَٱلسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ رَضِيَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْيَسِيرَةِ فَهَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ ٱلْجَزَائِرِ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةُ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَأَنْهَارٍ. فَٱتَّفَقَ أَنَّ دُرَّاجًا ٱجْتَازَ بِهَا يَوْمًا. وَقَدْ أَصَابَهُ ٱلْحَرُّ وَٱلتَّعَبُ. فَلَمَّا أَضَرَّ بِهِ ذٰلِكَ. حَطَّ مِنْ طَيَرَانِهِ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلَّتِي بِهَا تِلْكَ ٱلسَّلَاحِفُ. فَلَمَّا رَأَى ٱلسَّلَاحِفَ ٱلْتَجَأَ إِلَيْهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا. وَكَانَتِ ٱلسَّلَاحِفُ تَرْعَى فِي جِهَاتِ ٱلْجَزِيرَةِ. ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا. فَلَمَّا رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا. رَأَتِ ٱلدُّرَّاجَ فِيهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا. وَزَيَّنَهُ ٱللّٰهُ لَهَا. فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا. وَأَحَبَّتْ هٰذَا ٱلدُّرَّاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ بِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: لَا شَكَّ أَنَّ هٰذَا مِنْ أَحْسَنِ ٱلطُّيُورِ: فَصَارَتْ كُلُّهَا تُلَاطِفُهُ وَتَجْنَحُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا عَيْنَ ٱلْمَحَبَّةِ. مَالَ إِلَيْهَا وَٱسْتَأْنَسَ بِهَا. وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادَ. وَعِنْدَ ٱلْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى ٱلْمَبِيتِ عِنْدَهَا. فَإِذَا أَصْبَحَ ٱلصَّبَاحُ. يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هٰذِهِ عَادَتَهُ. وَٱسْتَمَرَّ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ. فَلَمَّا رَأَتِ ٱلسَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا. وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي ٱللَّيْلِ. وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا. وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ. قَالَ بَعْضُهَا: إِنَّ هٰذَا ٱلدُّرَّاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ وَصَارَ لَنَا صَدِيقًا. وَمَا بَقِيَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَاقِهِ. فَمَا يَكُونُ مِنَ ٱلْحِيلَةِ ٱلْمُوصِلَةِ إِلَى إِقَامَتِهِ عِنْدَنَا دَائِمًا. لِأَنَّهُ إِذَا طَارَ. يَغِيبُ عَنَّا ٱلنَّهَارَ كُلَّهُ. وَلَا نَرَاهُ إِلَّا فِي ٱللَّيْلِ: فَأَشَارَتْ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ قَائِلَةً: ٱسْتَرِحْنَ. يَا أَخَوَاتِي. وَأَنَا أَجْعَلُهُ لَا يُفَارِقُنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ: فَقَالَ لَهَا ٱلْجَمِيعُ: إِنْ فَعَلْتِ ذٰلِكَ كُنَّا لَكِ كُلُّنَا عَبِيدًا

فَلَمَّا حَضَرَ ٱلدُّرَّاجُ مِنْ مَسْرَحِهِ وَجَلَسَ بَيْنَهُمَا. تَقَرَّبَتْ مِنْهُ ٱلسُّلَحْفَاةُ ٱلْمُحْتَالَةُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَّأَتْهُ بِٱلسَّلَامَةِ. وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي أَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ قَدْ رَزَقَكَ مِنَّا ٱلْمَحَبَّةَ وَكَذٰلِكَ أَوْدَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّتَنَا وَصِرْتَ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْقَفْرِ أَنِيساً وَأَحْسَنُ أَوْقَاتِ ٱلْمُحِبِّينَ إِذَا كَانُوا مُجْتَمِعِينَ وَٱلْبَلَاءُ ٱلْعَظِيمُ فِي ٱلْبُعْدِ وَٱلْفِرَاقِ. وَلٰكِنَّكَ تَتْرُكُنَا عِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ. وَلَمْ تَعُدْ إِلَيْنَا إِلَّا عِنْدَ ٱلْغُرُوبِ فَيَصِيرُ عِنْدَنَا وَحْشَةٌ زَائِدَةٌ. وَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا ذٰلِكَ كَثِيراً وَنَحْنُ فِي وَجْدٍ عَظِيمٍ بِهٰذَا ٱلسَّبَبِ: فَقَالَ لَهَا ٱلدُّرَّاجُ: نَعَمْ أَنَا عِنْدِي مَحَبَّةٌ لَكُنَّ وَٱشْتِيَاقٌ عَظِيمٌ إِلَيْكُنَّ زِيَادَةً عَلَى مَا عِنْدَكُنَّ وَفِرَاقُكُنَّ لَيْسَ سَهْلًا عِنْدِي. لٰكِنْ مَا بِيَدِي حِيلَةٌ فِي ذٰلِكَ لِكَوْنِي طَيْراً بِأَجْنِحَةٍ فَلَا يُمْكِنُنِي ٱلْمُقَامُ مَعَكُنَّ دَائِماً. لِأَنَّ هٰذَا لَيْسَ مِنْ طَبْعِي. فَإِنَّ ٱلطَّيْرَ ذَا ٱلْأَجْنِحَةِ لَيْسَ لَهُ مُسْتَقَرٌّ إِلَّا فِي ٱللَّيْلِ لِأَجْلِ ٱلنَّوْمِ. وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ وَسَرَحَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ أَعْجَبَهُ: فَقَالَتْ لَهُ ٱلسُّلَحْفَاةُ: صَدَقْتَ. وَلٰكِنْ ذُو ٱلْأَجْنِحَةِ فِي غَالِبِ ٱلْأَوْقَاتِ لَا رَاحَةَ لَهُ لِكَوْنِهِ لَا يَنَالُهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ رُبْعُ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ ٱلْمَشَقَّةِ. وَغَايَةُ ٱلْمَقْصُودِ لِلشَّخْصِ ٱلرَّفَاهِيَةُ وَٱلرَّاحَةُ. وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ٱلْمَحَبَّةَ وَٱلْأُلْفَةَ وَنَخْشَى عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ. فَتَهْلِكُ وَنُحْرَمُ مِنْ رُؤْيَةِ وَجْهِكَ

فَأَجَابَهَا ٱلدُّرَّاجُ قَائِلًا: صَدَقْتِ. وَلٰكِنْ مَا عِنْدَكِ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْحِيلَةِ فِي أَمْرِي: فَقَالَتْ لَهُ: ٱلرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَنْتِفَ سَوَاعِدَكَ ٱلَّتِي تَسْرِعُ بِطَيَرَانِكَ وَتَقْعُدَ عِنْدَنَا مُسْتَرِيحاً وَتَأْكُلَ مِنْ أَكْلِنَا وَتَشْرَبَ مِنْ شُرْبِنَا فِي هٰذِهِ ٱلْمَسْرَحَةِ ٱلْكَثِيرَةِ ٱلْأَشْجَارِ ٱلْيَانِعَةِ ٱلْأَثْمَارِ وَنُقِيمُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ ٱلْمُخْصِبِ وَيَتَمَتَّعُ كُلٌّ مِنَّا بِصَاحِبِهِ: فَمَالَ ٱلدُّرَّاجُ إِلَى قَوْلِهَا وَقَصَدَ ٱلرَّاحَةَ

لِنَفْسِهِ. ثُمَّ نَتَفَ رِيشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حُكْمًا مَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ رَأْيِ السُّلَحْفَاةِ وَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعَهُنَّ وَرَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيرَةِ وَالطَّرَبِ الزَّائِلِ

فَبَيْنَمَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ. إِذَا بِابْنِ عِرْسٍ قَدْ مَرَّ فَرَمَقَهُ بِعَيْنِهِ وَتَأَمَّلَهُ فَرَآهُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ. فَلَمَّا رَآهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنَّ هٰذَا الدُّرَّاجَ سَمِينُ اللَّحْمِ قَلِيلُ الرِّيشِ: ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ابْنُ عِرْسٍ وَافْتَرَسَهُ. فَصَاحَ الدُّرَّاجُ وَطَلَبَ النَّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِفِ. فَلَمْ يَنْجُدْنَهُ بَلْ تَبَاعَدْنَ عَنْهُ. وَانْكَمَشْنَ فِي بَعْضِهِنَّ. لَمَّا رَأَيْنَ ابْنَ عِرْسٍ قَابِضًا عَلَيْهِ. وَحَيْثُ رَأَيْنَ ابْنَ عِرْسٍ يُعَذِّبُهُ. خَنَقَهُنَّ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُنَّ الدُّرَّاجُ: هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ غَيْرُ الْبُكَاءِ: فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَخَانَا. لَيْسَ لَنَا قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي أَمْرِ ابْنِ عِرْسٍ: فَحَزِنَ الدُّرَّاجُ عِنْدَ ذٰلِكَ. وَقَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ. وَقَالَ لَهُنَّ: لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ. إِنَّمَا الذَّنْبُ لِي. حَيْثُ أَطَعْتُكُمْ. وَنَتَفْتُ أَجْنِحَتِيَ الَّتِي أَطِيرُ بِهَا. فَأَنَا أَسْتَحِقُّ الْهَلَاكَ لِمُطَاوَعَتِي لَكُنَّ. وَلَا أَلُومُكُنَّ فِي شَيْءٍ

الثَّعَالِبُ وَالذِّئْبُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحْكِيمِهِ. فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْبَوَارَ

زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الثَّعَالِبِ. خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا يَأْكُلُونَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَجُولُونَ فِي طَلَبِ ذٰلِكَ. إِذَا هُمْ بِجَمَلٍ مَيِّتٍ. فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا. وَلٰكِنْ نَخَافُ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ. وَيَمِيلَ الْقَوِيُّ بِقُوَّتِهِ عَلَى الضَّعِيفِ. فَيَهْلِكَ الضَّعِيفُ مِنَّا. فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ حَكَمًا يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَنَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا. فَلَا يَكُونَ

لِلْقَوِيِّ سُلْطَةٌ عَلَى ٱلضَّعِيفِ : فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِ ذٰلِكَ . وَإِذَا بِذِئْبٍ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ أَصَابَ رَأْيُكُمْ فَٱجْعَلُوا هٰذَا ٱلذِّئْبَ حَكَمًا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى ٱلنَّاسِ . وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا . وَنَحْنُ نَرْجُو مِنَ ٱللهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا : ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَأَخْبَرُوهُ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ رَأْيُهُمْ . وَقَالُوا : لَقَدْ حَكَّمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَقُوتُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ . عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ لِئَلَّا يَبْغِيَ قَوِيُّنَا عَلَى ضَعِيفِنَا فَيُهْلِكَ بَعْضُنَا بَعْضًا : فَأَجَابَهُمُ ٱلذِّئْبُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَاطَى أُمُورَهُمْ وَقَسَمَ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ مَا كَفَاهُمْ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ قَالَ ٱلذِّئْبُ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ قِسْمَةَ هٰذَا ٱلْجَمَلِ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ ٱلْعَاجِزِينَ لَا يَعُودُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا ٱلْجُزْءُ ٱلَّذِي جَعَلُوهُ لِي . وَإِنْ أَكَلْتُهُ وَحْدِي فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي ضَرًّا مَعَ أَنَّهُمْ غَنَمٌ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي . فَمَنِ ٱلَّذِي يَمْنَعُنِي عَنْ أَخْذِ هٰذَا لِنَفْسِي . وَلَعَلَّ ٱللهَ مُسَبِّبُهُ لِي بِغَيْرِ جَمِيلَةٍ مِنْهُمْ . فَٱلْأَحْسَنُ لِي أَنْ أَخْتَصَّ بِهِ دُونَهُمْ . وَمِنْ هٰذَا ٱلْوَقْتِ لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا : فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلثَّعَالِبُ . جَاؤُوا إِلَيْهِ عَلَى ٱلْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ قُوتَهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . أَعْطِنَا مُؤْنَةَ يَوْمِنَا : فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا : مَا بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ لَكُمْ : فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَإِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا : إِنَّ ٱللهَ أَوْقَعَنَا فِي هَمٍّ عَظِيمٍ مَعَ هٰذَا ٱلْخَائِنِ ٱلْخَبِيثِ . ٱلَّذِي لَا يَتَّقِي ٱللهَ وَلَا يَخَافُهُ . وَلَيْسَ لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هٰذَا ٱلْأَمْرِ ضَرُورَةُ ٱلْجُوعِ . فَدَعُوهُ ٱلْيَوْمَ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي غَدٍ نَذْهَبُ إِلَيْهِ : فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . إِنَّمَا وَلَّيْنَاكَ عَلَيْنَا لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوتَهُ . وَتُنْصِفَ ٱلضَّعِيفَ مِنَ ٱلْقَوِيِّ . وَإِذَا

فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره . ونصير دائمًا تحت كنفك ورعايتك . وقد مسنا الجوع . ولنا يومان ما أكلنا . فأعطنا مؤنتنا . وأنت في حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك : فلم يرد عليهم جوابًا . بل ازداد قسوة . فراجعوه فلم يرجع . فقال بعضهم لبعض : ليس لنا حيلة إلا أننا ننطلق إلى الأسد . ونرمي أنفسنا عليه . ونجعل له الجمل فإن أحسن لنا بشيء منه كان من فضله وإلا فهو أحق به من هذا الخبيث : ثم انطلقوا إلى الأسد وأخبروه بما حصل لهم مع الذئب . ثم قالوا له : نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيدًا : فلما سمع الأسد كلام الثعالب أخذته الحمية وغار لله تعالى ومضى معهم إلى الذئب . فلما رأى الذئب الأسد مقبلًا طلب الفرار من قدامه . فجرى الأسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعًا ومكن الثعالب من فريستهم . فمن هذا ينتج بأنه لا ينبغي لأحد أن يتهاون في أمر رعايته

السندباد الحمال

إنه كان في زمن الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد رجل يقال له السندباد الحمال وكان رجلًا فقير الحال يحمل بأجرته على رأسه . فاتفق له أنه حمل في يوم من الأيام حملة ثقيلة وكان ذلك اليوم شديد الحر فتعب من تلك الحملة وعرق واشتد عليه الحر . فمر على باب رجل تاجر قدامه كنس ورش وهناك هواء معتدل وكان بجانب الباب مصطبة عريضة فحط الحمال حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء فخرج عليه من ذلك الباب نسيم رائق ورائحة ذكية فاستلذ الحمال لذلك

وَجلَسَ عَلَى جَانِبِ ٱلمِصْطَبَةِ. فَسَمِعَ فِي ذُلِكَ ٱلمَكَانِ نَغَمَ أَوْتَارٍ وَعُودٍ وَأَصْوَاتًا مُطْرِبَةً وَأَنْوَاعَ إِنْشَادٍ مُغْرِبَةً . وَسَمِعَ أَيْضًا أَصْوَاتَ طُيُورٍ تُنَاغِي وَتُسَبِّحُ ٱللهَ تَعَالَى بِٱخْتِلَافِ ٱلأَصْوَاتِ وَسَائِرِ ٱللُّغَاتِ مِنْ قَمَارِيٍّ وَهَزَارٍ وَشَحَارِيرَ وَبُلْبُلٍ وَفَاخِتَةٍ وَكَرَوَانٍ . فَعِنْدَ ذُلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرِبَ طَرَبًا شَدِيدًا. فَتَقَدَّمَ إِلَى ذُلِكَ فَوَجَدَ دَاخِلَ ٱلبَيْتِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ غِلْمَانًا وَعَبِيدًا وَخَدَمًا وَحَشَمًا وَشَيْئًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ ٱلمُلُوكِ وَٱلسَّلَاطِينِ. وَبَعْدَ ذُلِكَ هَبَّتْ عَلَيْهِ رَائِحَةُ أَطْعِمَةٍ طَيِّبَةٍ ذَكِيَّةٍ مِنْ جَمِيعِ ٱلأَلْوَانِ ٱلمُخْتَلِفَةِ وَٱلشَّرَابِ ٱلطَّيِّبِ. فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَارَبِّ يَاخَالِقُ يَارَازِقُ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. ٱللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ ٱلذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ ٱلعُيُوبِ. يَارَبِّ لَا ٱعْتِرَاضَ عَلَيْكَ فِي حُكْمِكَ وَقُدْرَتِكَ فَإِنَّكَ لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَكَ تُغْنِي مَنْ تَشَاءُ وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ. لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانَكَ وَمَا أَحْسَنَ تَدْبِيرَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ. فَهٰذَا ٱلمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ ٱلنِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَلَذِّذٌ بِٱلرَّوَائِحِ ٱللَّطِيفَةِ وَٱلمَآكِلِ ٱللَّذِيذَةِ وَٱلمَشَارِبِ ٱلفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ ٱلصِّفَاتِ . وَقَدْ حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِمَا تُرِيدُ وَقَدَّرْتَهُ عَلَيْهِمْ . فَمِنْهُمْ تَعْبَانُ وَمِنْهُمْ مُسْتَرِيحٌ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ ٱلتَّعَبِ وَٱلذُّلِّ . وَأَنْشَدَ يَقُولُ

فَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِلَا رَاحَةٍ ... يَنعَمُ فِي خَيْرِ فَيْءٍ وَظِلٍّ
وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ ... وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حِمْلِي
وَغَيْرِي سَعِيدٌ بِلَا شَقْوَةٍ ... وَمَا حَمَلَ ٱلدَّهْرَ يَوْمًا كَحِمْلِي

يَنعَمُ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا ... بِبَسْطٍ وَعِزٍّ وَشُرْبٍ وَأَكْلِ
وَكُلُّ الْخَلَائِقِ مِنْ نُطْفَةٍ ... أَنَا مِثْلُ هٰذَا وَهٰذَا كَمِثْلِي
وَلٰكِنَّ شَتَّانَ مَا بَيْنَنَا ... وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ خَمْرٍ وَخَلِّ
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ افْتِرَاءً ... فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلِ

فَلَمَّا فَرَغَ السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظْمِهِ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ حِمْلَتَهُ وَيَسِيرَ إِذْ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ الْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرُ السِّنِّ حَسَنُ الْوَجْهِ مَلِيحُ الْقَدِّ فَاخِرُ الْمَلَابِسِ. فَقَبَضَ عَلَى يَدِ الْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ كَلِّمْ سَيِّدِي فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ: فَأَرَادَ الْحَمَّالُ الِامْتِنَاعَ مِنَ الدُّخُولِ مَعَ الْغُلَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ فَحَطَّ حِمْلَتَهُ عِنْدَ الْبَوَّابِ فِي دِهْلِيزِ الْمَكَانِ وَدَخَلَ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الدَّارِ فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلَيْهَا أُنْسٌ وَوَقَارٌ. وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ مِنَ السَّادَاتِ الْكِرَامِ وَالْمَوَالِي الْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الزَّهْرِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَشْمُومِ وَمِنْ أَنْوَاعِ النُّقْلِ وَالْفَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْأَطْعِمَةِ النَّفِيسَةِ. وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِّ دَوَالِي الْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ السَّمَاعِ وَالطَّرَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحِسَانِ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى حَسَبِ التَّرْتِيبِ. وَفِي صَدْرِ ذٰلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُحْتَرَمٌ قَدْ لَكَزَهُ الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهِ وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَعَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ وَافْتِخَارٌ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ بُهِتَ السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَاللّٰهِ إِنَّ هٰذَا الْمَكَانَ مِنْ بُقَعِ الْجِنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ قَصْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ: ثُمَّ إِنَّهُ تَأَدَّبَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنَكِّسُ الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ. فَأَذِنَ لَهُ صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ

وَصَارَ يُؤَانِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيُرَحِّبُ بِهِ. ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمُفْتَخِرِ الطَّيِّبِ النَّفِيسِ. فَتَقَدَّمَ السِّنْدِبَادُ الْحَمَّالُ وَسَمَّى وَأَكَلَ حَتَّى اكْتَفَى وَشَبِعَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ: ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ. فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ: مَرْحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ. فَمَا يَكُونُ اسْمُكَ. وَمَا تُعَانِي مِنَ الصَّنَائِعِ: فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي اسْمِي السِّنْدِبَادُ الْحَمَّالُ وَأَنَا أَحْمِلُ عَلَى رَأْسِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأُجْرَةِ: فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ: اعْلَمْ يَا حَمَّالُ أَنَّ اسْمَكَ مِثْلُ اسْمِي. فَأَنَا السِّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ وَلٰكِنْ يَا حَمَّالُ قَصْدِي أَنْ تُسْمِعَنِي الْأَبْيَاتَ الَّتِي كُنْتَ تُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ: فَاسْتَحَى الْحَمَّالُ وَقَالَ لَهُ: بِاللّٰهِ عَلَيْكَ لَا تُؤَاخِذْنِي فَإِنَّ التَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ وَقِلَّةَ مَا فِي الْيَدِ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْأَدَبِ وَالسَّفَهَ: فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْتَحِ فَأَنْتَ صِرْتَ أَخِي فَأَنْشِدِ الْأَبْيَاتَ فَإِنَّهَا أَعْجَبَتْنِي لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ: فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَنْشَدَ الْحَمَّالُ تِلْكَ الْأَبْيَاتَ فَأَعْجَبَتْهُ وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ لَهُ: يَا حَمَّالُ اعْلَمْ أَنَّ لِي قِصَّةً عَجِيبَةً وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ لِي وَمَا جَرَى لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هٰذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي هٰذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ. فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ إِلَى هٰذِهِ السَّعَادَةِ وَهٰذَا الْمَكَانِ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ. وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ. وَقَدْ سَافَرْتُ سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفْرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُحَيِّرُ الْفِكْرَ

السَّفْرَةُ السَّادِسَةُ
مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلسِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ

اِعْلَمُوا يَا سَادَةُ يَا كِرَامُ. أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ

وَٱلتِّجَارِ. وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَنَوَالٌ جَزِيلٌ. وَقَدْ مَاتَ وَأَنَا وَلَدٌ صَغِيرٌ وَخَلَّفَ لِي مَالًا وَعَقَارًا وَضِيَاعًا. فَلَمَّا كَبُرْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى ٱلْجَمِيعِ وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلًا مَلِيحًا وَشَرِبْتُ شُرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ ٱلشَّبَابَ وَتَجَمَّلْتُ بِلُبْسِ ٱلثِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ ٱلْخِلَّانِ وَٱلْأَصْحَابِ وَٱعْتَقَدْتُ أَنَّ ذٰلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ وَأَفَقْتُ مِنْ غَفْلَتِي. ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَالِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ حَالَ وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرْعُوبٌ مَدْهُوشٌ وَقَدْ تَفَكَّرْتُ حِكَايَةً كُنْتُ أَسْمَعُهَا سَابِقًا مِنْ أَبِي وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ثَلَاثَةٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ: يَوْمُ ٱلْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِ ٱلْوِلَادَةِ. وَكَلْبٌ حَيٌّ خَيْرٌ مِنْ سَبُعٍ مَيِّتٍ. وَٱلْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْفَقْرِ: ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَجَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثَارٍ وَمَلْبُوسٍ وَبِعْتُهُ ثُمَّ بِعْتُ عَقَارِي وَجَمِيعَ مَا تَمْلِكُ يَدِي فَجَمَعْتُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَقَدْ خَطَرَ بِبَالِي ٱلسَّفَرُ إِلَى بِلَادِ ٱلنَّاسِ وَتَذَكَّرْتُ كَلَامَ بَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ حَيْثُ قَالَ:

بِقَدْرِ ٱلْكَدِّ تُكْتَسَبُ ٱلْمَعَالِي ... وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى سَهِرَ ٱللَّيَالِي
يَغُوصُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱللَّآلِي ... وَيَحْظَى بِٱلسِّيَادَةِ وَٱلنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ... أَضَاعَ ٱلْعُمْرَ فِي طَلَبِ ٱلْمُحَالِ

فَٱشْتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى ٱلسَّفَرِ وَٱلتِّجَارَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى ٱلسَّفَرِ وَٱشْتَرَيْتُ لِي بَضَائِعَ نَفِيسَةً فَاخِرَةً تَصْلُحُ لِلْبَحْرِ وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ بَغْدَادَ إِلَى مَدِينَةِ ٱلْبَصْرَةِ فَرَأَيْتُ مَرْكَبًا عَظِيمًا فِيهِ تُجَّارٌ وَأَكَابِرُ وَمَعَهُمْ بَضَائِعُ نَفِيسَةٌ فَنَزَلْتُ حُمُولِي مَعَهُمْ فِي هٰذَا ٱلْمَرْكَبِ وَسِرْنَا بِٱلسَّلَامَةِ مِنْ مَدِينَةِ ٱلْبَصْرَةِ وَلَمْ

نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَفَرَّجُ عَلَى بِلَادِ النَّاسِ. وَقَدْ طَابَ لَنَا السَّعْدُ وَالسَّفَرُ وَاغْتَنَمْنَا الْمَعَاشَ إِلَى أَنْ كُنَّا سَائِرِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِرَئِيسِ الْمَرْكَبِ صَرَخَ وَصَاحَ وَرَمَى عِمَامَتَهُ وَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَنَتَفَ لِحْيَتَهُ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ مِنْ شِدَّةِ الْغَمِّ وَالْقَهْرِ. فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ التُّجَّارِ وَالرُّكَّابِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا رَئِيسُ مَا الْخَبَرُ: فَقَالَ لَهُمُ الرَّئِيسُ: اعْلَمُوا يَا جَمَاعَةُ أَنَّنَا قَدْ تِهْنَا بِمَرْكَبِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ طُرُقَهُ وَإِذَا لَمْ يُقَيِّضِ اللهُ لَنَا شَيْئًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ هَلَكْنَا بِأَجْمَعِنَا لَا مَحَالَةَ فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّينَا مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ: ثُمَّ إِنَّ الرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ يَحُلَّ الْقُلُوعَ فَقَوِيَ الرِّيحُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَرَدَّهَا عَلَى مُؤَخَّرِهَا فَانْكَسَرَتْ دَفَّتُهَا قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ. فَنَزَلَ الرَّئِيسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَقْدُورَ. وَاللهِ إِنَّنَا قَدْ وَقَعْنَا فِي مَهْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مَخْلَصٌ وَلَا نَجَاةٌ: فَبَكَى جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفَرَاغِ أَعْمَارِهِمْ وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ عَلَى ذٰلِكَ الْجَبَلِ فَانْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتْ أَلْوَاحُهَا. فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ وَوَقَعَ التُّجَّارُ فِي الْبَحْرِ. فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذٰلِكَ الْجَبَلِ وَطَلَعَ عَلَيْهِ. وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ طَلَعَ ذٰلِكَ الْجَبَلَ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَاكِبِ الْمُكَسَّرَةِ. وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ مِنَ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كُسِرَتْ وَغَرِقَ رُكَّابُهَا. وَفِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يُحَيِّرُ الْعَقْلَ وَالْفِكْرَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْبَحْرُ عَلَى

جَوَانِبِهَا فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعْتُ أَعْلَى تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَمَشَيْتُ فِيهِ فَرَأَيْتُ فِي وَسَطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَدَاخِلٍ فِي آخِرِهِ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلثَّانِي . فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ ٱلرُّكَّابِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ إِلَى ٱلْجَزِيرَةِ وَٱنْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ عُقُولُهُمْ مِنْ ذٰلِكَ وَصَارُوا مِثْلَ ٱلْمَجَانِينِ مِنْ كَثْرَةِ مَا رَأَوْا فِي ٱلْجَزِيرَةِ مِنَ ٱلْأَمْتِعَةِ وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ . وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسَطِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ ٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْمَعَادِنِ وَٱلْيَوَاقِيتِ وَٱللَّآلِئِ ٱلْكِبَارِ ٱلْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ ٱلْحَصَى فِي مَجَارِي ٱلْمَاءِ فِي تِلْكَ ٱلْغِيطَانِ . وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ ٱلْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا . وَرَأَيْنَا شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى ٱلْعُودِ ٱلصِّينِيِّ وَٱلْعُودِ ٱلْقَمَارِيِّ . وَفِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعَةٌ مِنْ صِنْفِ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلَ ٱلشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ ٱلشَّمْسِ وَيَمْتَدُّ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ فَتَطْلَعُ ٱلْهَوَايِشُ مِنَ ٱلْبَحْرِ تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ فِي ٱلْبَحْرِ فَيَحْمَى فِي بُطُونِهَا فَتَقْذِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي ٱلْبَحْرِ فَيَجْمُدُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْذِفُهُ ٱلْأَمْوَاجُ إِلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ فَيَأْخُذُهُ ٱلسَّيَّاحُونَ وَٱلتُّجَّارُ ٱلَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ فَيَبِيعُونَهُ . وَأَمَّا ٱلْعَنْبَرُ ٱلْخَامُ ٱلْخَالِصُ مِنَ ٱلْبَلْعِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ وَيَتَجَمَّدُ بِأَرْضِهِ . وَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ يَسِيحُ وَتَبْقَى مِنْهُ رَائِحَةُ ذٰلِكَ ٱلْوَادِي كُلِّهِ مِثْلَ ٱلْمِسْكِ . وَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ ٱلشَّمْسُ يَجْمُدُ . وَذٰلِكَ ٱلْمَكَانُ ٱلَّذِي فِيهِ هٰذَا ٱلْعَنْبَرُ ٱلْخَامُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ سُلُوكَهُ . فَإِنَّ ٱلْجَبَلَ مُحِيطٌ بِتِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ . وَلَمْ نَزَلْ دَائِرِينَ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ

نَتَفَرَّجُ عَلَى مَا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ ٱلْأَرْزَاقِ وَنَحْنُ مُتَحَيِّرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيمَا نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ ٱلْجَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ ٱلزَّادِ فَصِرْنَا نُوَفِّرُهُ وَنَأْكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَةً وَاحِدَةً وَنَحْنُ خَائِفُونَ أَنْ يَفْرَغَ ٱلزَّادُ مِنَّا فَنَمُوتَ كَمَدًا مِنْ شِدَّةِ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَّا نُغَسِّلُهُ وَنُكَفِّنُهُ فِي ثِيَابٍ وَقُمَاشٍ مِنَ ٱلَّذِي يَطْرَحُهُ ٱلْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ ٱلْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ. فَضَعُفْنَا بِوَجَعِ ٱلْبَطْنِ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مُدَّةً قَلِيلَةً فَمَاتَ جَمِيعُ أَصْحَابِي وَرُفَقَائِي وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَدْفِنُهُ. وَبَقِيتُ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَحْدِي وَبَقِيَ مَعِي زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ: يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ رُفَقَائِي وَكَانُوا غَسَّلُونِي وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ: ثُمَّ إِنِّي أَقَمْتُ مُدَّةً يَسِيرَةً وَقُمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِي حُفْرَةً عَمِيقَةً فِي جَانِبِ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ قَدْ أَتَانِي أَرْقُدُ فِي هٰذَا ٱلْقَبْرِ فَأَمُوتُ فِيهِ وَيَبْقَى ٱلرِّيحُ يَسْفِي ٱلرَّمْلَ عَلَيَّ فَيُغَطِّينِي وَأَصِيرُ مَدْفُونًا فِيهِ. وَصِرْتُ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى قِلَّةِ عَقْلِي وَخُرُوجِي مِنْ بِلَادِي وَمَدِينَتِي وَسَفَرِي إِلَى ٱلْبِلَادِ بَعْدَ ٱلَّذِي قَاسَيْتُهُ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا. وَلَا سَفْرَةَ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ إِلَّا وَأُقَاسِي أَهْوَالًا وَشَدَائِدَ أَشَقَّ وَأَصْعَبَ مِنَ ٱلْأَهْوَالِ ٱلَّتِي قَبْلَهَا. وَمَا أُصَدِّقُ بِٱلنَّجَاةِ وَٱلسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ ٱلسَّفَرِ فِي ٱلْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ. وَلَسْتُ مُحْتَاجًا لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ. وَٱلَّذِي عِنْدِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُفْنِيَهُ وَلَا أُضِيعَ نِصْفَهُ فِي بَاقِي عُمْرِي. وَعِنْدِي مَا يَكْفِينِي وَزِيَادَةٌ. ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ: وَٱللهِ لَا بُدَّ أَنَّ هٰذَا ٱلنَّهْرَ لَهُ أَوَّلٌ

وَآخَرَ وَلَا بُدَّ مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى ٱلْعَمَارِ. وَٱلرَّأْيُ ٱلسَّدِيدُ عِنْدِي أَنِّي أَعْمَلُ لِي فُلْكًا صَغِيرًا عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأُلْقِيهِ فِي هٰذَا ٱلنَّهْرِ وَأَسِيرُ بِهِ. فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلُصُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ ٱللّٰهِ تَعَالَى. وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هٰذَا ٱلنَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَصِرْتُ أَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِي. ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَسَعَيْتُ فَجَمَعْتُ أَخْشَابًا مِنْ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ مِنْ خَشَبِ ٱلْعُودِ ٱلصِّينِيِّ وَٱلْقَمَارِيِّ وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ بِحِبَالٍ مِنْ حِبَالِ ٱلْمَرَاكِبِ ٱلَّتِي كُسِرَتْ وَجِئْتُ بِأَلْوَاحٍ مُتَسَاوِيَةٍ مِنْ أَلْوَاحِ ٱلْمَرَاكِبِ وَوَضَعْتُهَا فِي ذٰلِكَ ٱلْخَشَبِ وَجَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱلْفُلْكَ عَلَى عَرْضِ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ أَوْ أَقَلَّ مِنْ عَرْضِهِ. وَشَدَدْتُهُ شَدًّا طَيِّبًا مَكِينًا. وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِي مِنْ تِلْكَ ٱلْمَعَادِنِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْأَمْوَالِ وَٱللُّؤْلُؤِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي مِثْلُ ٱلْحَصَى وَغَيْرَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلَّذِي فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَشَيْئًا مِنَ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ ٱلْخَالِصِ ٱلطَّيِّبِ وَوَضَعْتُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْفُلْكِ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَمَعْتُهُ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ وَأَخَذْتُ مَعِي جَمِيعَ مَا كَانَ بَاقِيًا مِنَ ٱلزَّادِ. ثُمَّ إِنِّي أَلْقَيْتُ ذٰلِكَ ٱلْفُلْكَ فِي هٰذَا ٱلنَّهْرِ وَجَعَلْتُ لَهُ خَشَبَتَيْنِ عَلَى جَنْبَيْهِ مِثْلَ ٱلْمَجَادِيفِ وَعَمِلْتُ بِقَوْلِ بَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ

تَرَحَّلْ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَيْمٌ ... وَخَلِّ ٱلدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ ... وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ ٱللَّيَالِي ... فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي ٱنْتِهَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ ... فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا

وَسِرْتُ بِذَٰلِكَ ٱلْفُلْكِ فِي ٱلنَّهْرِ وَأَنَا مُتَفَكِّرٌ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرِي. وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ ٱلنَّهْرُ تَحْتَ ذَٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَدَخَلَتْ ٱلْفُلْكُ فِي ذَٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَقَدْ صِرْتُ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ ٱلْجَبَلِ. وَلَمْ يَزَلِ ٱلْفُلْكُ دَاخِلًا بِي مَعَ ٱلْمَاءِ إِلَى ضَيِّقٍ تَحْتَ ٱلْجَبَلِ. وَصَارَتْ جَوَانِبُ ٱلْفُلْكِ تَحُكُّ فِي جَوَانِبِ ٱلنَّهْرِ وَرَأْسِي يَحُكُّ فِي سَقْفِ ٱلنَّهْرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِنِّي أَعُودُ مِنْهُ وَقَدْ لُمْتُ نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ: إِنْ ضَاقَ ٱلْمَكَانُ عَلَى ٱلْفُلْكِ قَلَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ وَلَا يُمْكِنُ عَوْدُهُ فَأَهْلِكُ فِي ٱلْمَكَانِ كَمَدًا بِلَا مَحَالَةٍ. وَقَدِ ٱنْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِي فِي ٱلْفُلْكِ مِنْ ضَيْقِ ٱلنَّهْرِ. وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا وَلَا أَعْلَمُ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ ٱلظُّلْمَةِ ٱلَّتِي أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَٰلِكَ ٱلْجَبَلِ مَعَ ٱلْفَزَعِ وَٱلْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنَ ٱلْهَلَاكِ. وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَهُوَ يَتَّسِعُ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى. وَلَكِنَّ ٱلظُّلْمَةَ قَدْ أَتْعَبَتْنِي تَعَبًا شَدِيدًا فَأَخَذَتْنِي سِنَةٌ مِنَ ٱلنَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي فِي ٱلْفُلْكِ. وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ. ثُمَّ إِنِّي ٱسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي ٱلنُّورِ. فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَرَأَيْتُ مَكَانًا وَاسِعًا وَذَٰلِكَ ٱلْفُلْكُ مَرْبُوطٌ عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْهُنُودِ وَٱلْحَبَشَةِ. فَلَمَّا رَأَوْنِي قُمْتُ نَهَضُوا إِلَيَّ وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ. وَبَقِيتُ أَظُنُّ أَنَّهُ حُلْمٌ وَأَنَّ هٰذَا فِي ٱلْمَنَامِ مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ ٱلضِّيقِ وَٱلْقَهْرِ. فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا. تَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ: ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا. مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ. وَمَا سَبَبُ مَجِيئِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ. وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ فِي هٰذَا ٱلْمَاءِ. وَأَيُّ بِلَادٍ خَلْفَ

هٰذَا ٱلْجَبَلِ لِأَنَّنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا: فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ هٰذِهِ: فَقَالَ لِي: يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ ٱلزَّرْعِ وَٱلْغِيطَانِ وَجِئْنَا لِنَسْقِيَ غِيطَانَنَا وَزَرْعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي ٱلْفُلْكِ فَأَمْسَكْنَاهُ وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا حَتَّى تَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ. فَأَخْبِرْنَا مَا سَبَبُ وُصُولِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ: فَقُلْتُ لَهُ: بِٱللّٰهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي ٱئْتِنِي بِشَيْءٍ مِنَ ٱلطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱسْأَلْنِي عَمَّا تُرِيدُ. فَأَسْرَعَ وَأَتَانِي بِٱلطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَٱرْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْعِي وَٱزْدَادَ شَبَعِي وَرُدَّتْ لِي رُوحِي. فَحَمِدْتُ ٱللّٰهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفَرِحْتُ بِخُرُوجِي مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَوُصُولِي إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَضِيقِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا: لَا بُدَّ أَنَّنَا نَأْخُذُهُ مَعَنَا وَنَعْرِضُهُ عَلَى مَلِكِنَا لِيُخْبِرَهُ بِمَا جَرَى لَهُ: قَالَ: فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِي ٱلْفُلْكَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَالِ وَٱلنَّوَالِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْمَعَادِنِ وَٱلْمَصَاغِ. وَقَدْ أَدْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى. فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي وَمَا ٱتَّفَقَ لِي مِنَ ٱلْأُمُورِ. فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَاقَيْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ. فَتَعَجَّبَ ٱلْمَلِكُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحِكَايَةِ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ وَهَنَّأَنِي بِٱلسَّلَامَةِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ قُمْتُ وَطَلَعْتُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْفُلْكِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ ٱلْمَعَادِنِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْعُودِ وَٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَقَبِلَهُ مِنِّي وَأَكْرَمَنِي إِكْرَامًا زَائِدًا وَأَنْزَلَنِي فِي مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصِرْتُ لَا أُفَارِقُ دَارَ ٱلْمَلِكِ. وَصَارَ ٱلْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأُخْبِرُهُمْ بِهَا. وَكَذٰلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي

مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ عَنْ أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ ٱلْخَلِيفَةِ فِي بِلَادِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ فَأَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ. فَتَعَجَّبَ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي: وَٱللَّهِ إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ لَهُ أُمُورٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مَرْضِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبَّبْتَنِي فِيهِ وَمُرَادِي أَنْ أُجَهِّزَ لَهُ هَدِيَّةً وَأُرْسِلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: سَمْعًا وَطَاعَةً يَا مَوْلَانَا أُوصِلُهَا إِلَيْهِ وَأُخْبِرُهُ أَنَّكَ مُحِبٌّ صَادِقٌ: وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكِ وَأَنَا فِي غَايَةِ ٱلْعِزِّ وَٱلْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ فِي دَارِ ٱلْمَلِكِ فَسَمِعْتُ بِخَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ. أَنَّهُمْ جَهَّزُوا لَهُمْ مَرْكَبًا يُرِيدُونَ ٱلسَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ ٱلْبَصْرَةِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْسَ لِي أَوْفَقُ مِنَ ٱلسَّفَرِ مَعَ هٰؤُلَاءِ ٱلْجَمَاعَةِ. فَأَسْرَعْتُ مِنْ وَقْتِي وَسَاعَتِي وَقَبَّلْتُ يَدَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنَّ مُرَادِي ٱلسَّفَرُ مَعَ ٱلْجَمَاعَةِ فِي ٱلْمَرْكَبِ ٱلَّذِي جَهَّزُوهُ لِأَنِّي ٱشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي. فَقَالَ لِي ٱلْمَلِكُ: ٱلرَّأْيُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ ٱلْإِقَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى ٱلرَّأْسِ وَٱلْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا أُنْسُكَ: فَقُلْتُ: وَٱللَّهِ يَا سَيِّدِي قَدْ غَمَرْتَنِي بِجَمِيلِكَ وَإِحْسَانِكَ وَلٰكِنِّي قَدِ ٱشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي وَعِيَالِي: فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي أَحْضَرَ ٱلتُّجَّارَ ٱلَّذِينَ جَهَّزُوا ٱلْمَرْكَبَ وَأَوْصَاهُمْ عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَدَفَعَ عَنِّي أُجْرَةَ ٱلْمَرْكَبِ وَأَرْسَلَ مَعِي هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ. ثُمَّ إِنِّي وَدَّعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي ٱلَّذِينَ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ نَزَلْتُ ذٰلِكَ ٱلْمَرْكَبَ مَعَ ٱلتُّجَّارِ وَسِرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا ٱلرِّيحُ وَٱلسَّفَرُ وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِٱلسَّلَامَةِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ

ٱلْبَصْرَةِ . فَطَلَعْتُ مِنَ ٱلْمَرْكَبِ وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بِأَرْضِ ٱلْبَصْرَةِ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ حَتَّى جَهَّزْتُ نَفْسِي وَحَمَّلْتُ حُمُولِي وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ دَارِ ٱلسَّلَامِ. فَدَخَلْتُ عَلَى ٱلْخَلِيفَةِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ ٱلْهَدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي . ثُمَّ خَزَنْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْتِعَتِي وَدَخَلْتُ حَارَتِي وَجَاءَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ ٱلْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ. وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ ٱلزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ ٱلْخَلِيفَةُ . فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ ٱلْهَدِيَّةِ وَمِنْ أَيْنَ هِيَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَٱللهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ ٱلَّتِي هِيَ مِنْهَا ٱسْمًا وَلَا طَرِيقًا . وَلَكِنْ لَمَّا غَرِقَ ٱلْمَرْكَبُ ٱلَّذِي كُنْتُ فِيهِ. طَلَعْتُ عَلَى جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلْكًا وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسَطِ جَزِيرَةٍ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي فِي ٱلسَّفْرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِيَ ٱلْهَدِيَّةَ. فَتَعَجَّبَ ٱلْخَلِيفَةُ مِنْ ذٰلِكَ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ وَأَمَرَ ٱلْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْعَلُوهَا فِي خِزَانَتِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَآهَا

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ ٱلْعُبَّادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ ٱلْجِبَالِ . وَكَانَ يَأْوِي إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ زَوْجٌ مِنَ ٱلْحَمَامِ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْعَابِدُ قَدْ قَسَمَ قُوتَهُ نِصْفَيْنِ. وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لِذٰلِكَ ٱلزَّوْجِ ٱلْحَمَامِ . وَدَعَا ٱلْعَابِدُ لَهُمَا بِكَثْرَةِ ٱلنَّسْلِ. فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا. وَلَمْ يَكُنِ ٱلْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْعَابِدُ. وَكَانَ ٱلسَّبَبُ فِي ٱجْتِمَاعِ ٱلْحَمَامِ بِٱلْعَابِدِ كَثْرَةَ تَسْبِيحِ ٱلْحَمَامِ . وَقِيلَ: إِنَّ ٱلْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ: سُبْحَانَ خَالِقِ ٱلْخَلْقِ. وَقَاسِمِ ٱلرِّزْقِ . وَبَانِي

ٱلسَّمٰوَاتِ . وَبَاسِطِ ٱلْأَرَضِينَ: وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ ٱلزَّوْجُ ٱلْحَمَامُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ ٱلْعَابِدُ . فَتَشَتَّتَ شَمْلُ ٱلْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ فِي ٱلْمُدُنِ وَٱلْقُرَى وَٱلْجِبَالِ

حِكَايَةُ ٱلرَّاعِي ٱلْعَابِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ ٱلرُّعَاةِ . وَكَانَ صَاحِبَ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ . وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ يَرْعَاهَا . وَيَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِهَا وَأَصْوَافِهَا . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلُ ٱلَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ ٱلرَّاعِي كَثِيرَ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْمَرْعَى وَٱلسِّبَاعِ . وَلَمْ يَكُنْ لِتِلْكَ ٱلْوُحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى ٱلرَّاعِي . وَلَا عَلَى غَنَمِهِ . وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي ٱلْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لَا يُهِمُّهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا . لِسَعَادَتِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ . فَقَدَّرَ ٱللّٰهُ أَنَّهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا . فَدَخَلَ ٱلْعَابِدُ فِي كَهْفِ ٱلْجَبَلِ . وَصَارَتِ ٱلْغَنَمُ تَخْرُجُ بِٱلنَّهَارِ إِلَى مَرْعَاهَا . وَتَأْوِي بِٱللَّيْلِ إِلَى ٱلْكَهْفِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ ٱلرَّاعِي قَرْيَةٌ فِيهَا رَجُلٌ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ بِمَكَانِهِ . فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: إِنَّ بِٱلْقُرْبِ مِنْكَ فِي مَكَانِ كَذَا رَجُلًا صَالِحًا . فَٱذْهَبْ إِلَيْهِ وَكُنْ تَحْتَ طَاعَةِ أَمْرِهِ: فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ سَائِرًا . فَلَمَّا ٱشْتَدَّ عَلَيْهِ ٱلْحَرُّ ٱنْتَهَى إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَهَا عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي . فَٱسْتَرَاحَ هُنَاكَ وَجَلَسَ فِي ظِلِّ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ . فَإِذَا هُوَ بِوُحُوشٍ وَطُيُورٍ أَتَتْ إِلَى تِلْكَ ٱلْعَيْنِ لِتَشْرَبَ مِنْهَا . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْعَابِدَ جَالِسًا نَفَرَتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ وَشَرَدَتْ . فَقَالَ ٱلْعَابِدُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللّٰهِ . إِنِّي لَمْ أَسْتَرِحْ هُنَا إِلَّا ضَرَرًا عَلَى هٰذِهِ ٱلْوُحُوشِ وَٱلطُّيُورِ : فَقَامَ وَقَالَ مُعَاتِبًا لِنَفْسِهِ : لَقَدْ أَضَرَّ بِهٰذِهِ ٱلْحَيَوَانَاتِ فِي هٰذَا ٱلْيَوْمِ جُلُوسِي فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ . فَمَا ٱلْعُذْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ

خَالِقِي وَخَالِقِ هٰذِهِ ٱلطُّيُورِ وَٱلْوُحُوشِ فَإِنِّي كُنْتُ سَبَبًا لِشُرُودِهَا عَنْ شُرْبِهَا وَعَنْ رِزْقِهَا وَمَرْعَاهَا . فَوَاخَجَلَتِي مِنْ رَبِّي يَوْمَ يَقْتَصُّ لِلشَّاةِ ٱلْجَمَّاءِ مِنَ ٱلشَّاةِ ٱلْقَرْنَاءِ: ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَدَ يَقُولُ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ

أَمَا وَٱللّٰهِ لَوْ عَلِمَ ٱلْأَنَامُ ... لِمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا
فَمَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ ثُمَّ حَشْرٌ ... وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
وَنَحْنُ إِذَا ٱنْتَهَيْنَا أَوْ أُمِرْنَا ... كَأَهْلِ ٱلْكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيَامُ

ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ عِنْدَ ٱلْعَيْنِ وَمَنْعِهِ ٱلطُّيُورَ وَٱلْوُحُوشَ مِنْ شُرْبِهَا . وَوَلَّى سَائِحًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى ٱلرَّاعِي . فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ وَعَانَقَهُ وَبَكَى. فَقَالَ لَهُ ٱلرَّاعِي: مَا ٱلَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ عَلَيَّ: فَقَالَ لَهُ ٱلْعَابِدُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَنْ يَصِفُ لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأُسَلِّمَ عَلَيْكَ . فَأَتَيْتُكَ مُمْتَثِلًا لِمَا أُمِرْتُ بِهِ: فَقَبِلَهُ ٱلرَّاعِي وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ وَجَلَسَ مَعَهُ فِي ٱلْجَبَلِ يَعْبُدَانِ ٱللّٰهَ فِي ذٰلِكَ ٱلْغَارِ . فَحَسُنَتْ عِبَادَتُهُمَا وَلَمْ يَزَالَا فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ يَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا وَيَتَقَوَّتَانِ مِنْ لُحُومِ ٱلْغَنَمِ وَأَلْبَانِهَا مُتَجَرِّدَيْنِ عَنِ ٱلْمَالِ وَٱلْبَنِينَ إِلَى أَنْ أَتَاهُمَا ٱلْيَقِينُ . وَهٰذَا آخِرُ حَدِيثِهِمَا

حِكَايَاتُ مَلَاكِ ٱلْمَوْتِ

أَلحِكَايَةُ ٱلْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ. أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ يَوْمًا. فِي جُمْلَةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ. وَيُظْهِرَ لِلْخَلَائِقِ عَجَائِبَ زِينَتِهِ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ وَأُمَرَائَهُ وَكُبَرَاءَ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْخُذُوا أُهْبَةَ ٱلْخُرُوجِ مَعَهُ. وَأَمَرَ خَازِنَ ٱلثِّيَابِ بِأَنْ يُحْضِرَ لَهُ مِنْ أَفْخَرِ ٱلثِّيَابِ مَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ فِي زِينَتِهِ. وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ خَيْلِهِ ٱلْمَوْصُوفَةِ ٱلْعِتَاقِ ٱلْمَعْرُوفَةِ. فَفَعَلُوا ذَٰلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ ٱخْتَارَ مِنَ ٱلثِّيَابِ مَا أَعْجَبَهُ. وَمِنَ ٱلْخَيْلِ مَا ٱسْتَحْسَنَهُ. ثُمَّ لَبِسَ ٱلثِّيَابَ وَرَكِبَ ٱلْجَوَادَ. وَسَارَ بِٱلْمَوْكِبِ. وَٱلطَّوْقِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلْجَوَاهِرِ وَأَصْنَافِ ٱلدُّرِّ وَٱلْيَوَاقِيتِ. وَجَعَلَ يَرْكُضُ ٱلْحِصَانَ فِي عَسْكَرِهِ. وَيَفْتَخِرُ بِتِيهِهِ وَتَجَبُّرِهِ. فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَفْخَةَ ٱلْكِبْرِ وَٱلْعُجْبِ فَزَهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَنْ فِي ٱلْعَالَمِ مِثْلِي: وَطَفِقَ يَتِيهُ بِٱلْعُجْبِ وَٱلْكِبْرِ وَيُظْهِرُ ٱلْأُبَّهَةَ. وَيَزْهُو بِٱلْخُيَلَاءِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ تِيهِهِ وَكِبْرِهِ. وَعُجْبِهِ وَفَخْرِهِ. فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ. فَقَبَضَ عَلَى عِنَانِ فَرَسِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: ٱرْفَعْ يَدَكَ. فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِعِنَانِ مَنْ قَدْ أَمْسَكْتَ: فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً: فَقَالَ: ٱصْبِرْ حَتَّى أَنْزِلَ وَٱذْكُرْ حَاجَتَكَ. فَقَالَ: إِنَّهَا سِرٌّ وَلَا أَقُولُهَا إِلَّا فِي أُذْنِكَ: فَمَالَ بِسَمْعِهِ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا مَلَاكُ ٱلْمَوْتِ. وَأُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ: فَقَالَ: أَمْهِلْنِي بِقَدْرِ مَا أَعُودُ إِلَى بَيْتِي. وَأُوَدِّعُ أَهْلِي وَأَوْلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجَتِي: فَقَالَ: كَلَّا. لَا تَعُودُ. وَلَنْ تَرَاهُمْ

أَبَدًا. فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلُ عُمْرِكَ: فَأَخَذَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ. فَخَرَّ مَيِّتًا وَمَضَى مَلَاكُ ٱلْمَوْتِ مِنْ هُنَاكَ. فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا. قَدْ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ مَلَاكُ ٱلْمَوْتِ: أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ٱلصَّالِحُ. إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ سِرٌّ: فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلصَّالِحُ: أَذْكُرْ حَاجَتَكَ فِي أُذْنِي فَقَالَ: أَنَا مَلَاكُ ٱلْمَوْتِ: فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: مَرْحَبًا بِكَ. ٱلْحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَجِيئِكَ فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتَرَقَّبُ وُصُولَكَ إِلَيَّ. وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَنِ ٱلْمُشْتَاقِ إِلَى قُدُومِكَ: فَقَالَ لَهُ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ: إِنْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَٱقْضِهِ: فَقَالَ لَهُ لَيْسَ لِي شُغْلٌ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: فَقَالَ: كَيْفَ تُحِبُّ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ. فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَهَا كَيْفَ أَرَدْتَ وَٱخْتَرْتَ: فَقَالَ: أَمْهِلْنِي حَتَّى أَسْجُدَ وَأُصَلِّيَ. فَإِذَا سَجَدْتُ وَصَلَّيْتُ فَٱقْبِضْ رُوحِي. وَأَنَا سَاجِدٌ: فَقَالَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَقْبِضَ رُوحَكَ إِلَّا بِٱخْتِيَارِكَ. كَيْفَ أَرَدْتَ. وَأَنَا أَفْعَلُ مَا قُلْتَ: فَقَامَ ٱلرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى فَقَبَضَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ رُوحَهُ. وَهُوَ سَاجِدٌ. وَنَقَلَهُ ٱللهُ تَعَالَى إِلَى مَحَلِّ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرِّضْوَانِ وَٱلْمَغْفِرَةِ

ٱلْحِكَايَةُ ٱلثَّانِيَةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ ٱلْمُلُوكِ. كَانَ قَدْ جَمَعَ مَالًا عَظِيمًا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ. وَٱحْتَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ. مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلَقَهُ ٱللهُ تَعَالَى فِي ٱلدُّنْيَا لِيُرَفِّهَ نَفْسَهُ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنَ ٱلنِّعَمِ ٱلطَّائِلَةِ بَنَى لَهُ قَصْرًا عَالِيًا مُرْتَفِعًا شَاهِقًا. يَصْلُحُ لِلْمُلُوكِ. وَيَكُونُ بِهِمْ لَائِقًا. ثُمَّ رَكَّبَ عَلَيْهِ بَابَيْنِ مُحْكَمَيْنِ. وَرَتَّبَ لَهُ ٱلْغِلْمَانَ وَٱلْأَجْنَادَ وَٱلْبَوَّابِينَ كَمَا أَرَادَ. وَأَمَرَ ٱلطَّبَّاخَ فِي

بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ . أَنْ يَصْنَعَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَطْيَبِ ٱلطَّعَامِ . وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَحَشَمَهُ . وَأَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ . لِيَأْكُلُوا عِنْدَهُ وَيَنَالُوا رِفْدَهُ . وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَسِيَادَتِهِ . وَٱتَّكَأَ عَلَى وِسَادَتِهِ . وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ : يَانَفْسُ . قَدْ جَمَعْتُ لَكِ نِعَمَ ٱلدُّنْيَا بِأَسْرِهَا . فَٱلْآنَ تَفَرَّغِي وَكُلِي مِنْ هٰذِهِ ٱلنِّعَمِ مُهَنَّأَةً بِٱلْعُمْرِ ٱلطَّوِيلِ . وَٱلْحَظِّ ٱلْجَزِيلِ : فَلَمْ يَفْرَغْ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ . حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ ظَاهِرِ ٱلْقَصْرِ . عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ وَفِي عُنُقِهِ مِخْلَاةٌ مُعَلَّقَةٌ عَلَى هَيْئَةِ سَائِلٍ لِيَنَالَ ٱلطَّعَامَ . فَجَاءَ وَطَرَقَ حَلْقَةَ بَابِ ٱلْقَصْرِ طَرْقَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً . كَادَتْ تُزَلْزِلُ ٱلْقَصْرَ وَتُزْعِجُ ٱلسَّرِيرَ . فَخَافَ ٱلْغِلْمَانُ فَوَثَبُوا إِلَى ٱلْبَابِ . وَصَاحُوا بِٱلطَّارِقِ وَقَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ . مَا هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ وَسُوءُ ٱلْأَدَبِ . ٱصْبِرْ حَتَّى يَأْكُلَ ٱلْمَلِكُ وَنُعْطِيَكَ مِمَّا يَفْضُلُ : فَقَالَ لِلْغِلْمَانِ : قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ يَخْرُجْ إِلَيَّ حَتَّى يُكَلِّمَنِي . فَلِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَشُغْلٌ مُهِمٌّ وَأَمْرٌ مُلِمٌّ : فَقَالُوا : تَنَحَّ أَيُّهَا ٱلضَّعِيفُ . مَنْ أَنْتَ حَتَّى نَأْمُرَ صَاحِبَنَا بِٱلْخُرُوجِ إِلَيْكَ : فَقَالَ لَهُمْ : عَرِّفُوهُ ذٰلِكَ : فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَعَرَّفُوهُ . فَقَالَ : هَلَّا زَجَرْتُمُوهُ وَجَرَّدْتُمْ عَلَيْهِ وَنَهَرْتُمُوهُ : ثُمَّ طَرَقَ ٱلْبَابَ أَعْظَمَ مِنَ ٱلطَّرْقَةِ ٱلْأُولَى . فَنَهَضَ ٱلْغِلْمَانُ إِلَيْهِ بِٱلْعِصِيِّ وَٱلسِّلَاحِ وَقَصَدُوهُ لِيُحَارِبُوهُ . فَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً . وَقَالَ : ٱلْزَمُوا أَمَاكِنَكُمْ . فَأَنَا مَلَكُ ٱلْمَوْتِ : فَرَعَبَتْ قُلُوبُهُمْ وَذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ . وَطَاشَتْ حُلُومُهُمْ . وَٱرْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ وَبَطَلَتْ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ جَوَارِحُهُمْ . فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَلِكُ : قُولُوا لَهُ يَأْخُذْ بَدَلًا مِنِّي وَعِوَضًا عَنِّي : فَقَالَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ : لَا آخُذُ بَدَلًا . وَلَا أَتَيْتُ إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ لِأُفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلنِّعَمِ ٱلَّتِي جَمَعْتَهَا . وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي حَوَيْتَهَا وَخَزَنْتَهَا : فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ وَبَكَى وَقَالَ :

لَعَنَ ٱللهُ ٱلْمَالَ ٱلَّذِي غَرَّنِي وَأَضَرَّنِي وَمَنَعَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي. وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُنِي. فَبَقِيَ ٱلْيَوْمَ حَسْرَةً عَلَيَّ وَوَبَالًا لَدَيَّ. وَهَا أَنَا أَخْرُجُ صِفْرَ ٱلْيَدَيْنِ مِنْهُ وَيَبْقَى لِأَعْدَائِي: قَالَ. فَأَنْطَقَ ٱللهُ ٱلْمَالَ وَقَالَ: لِأَيِّ سَبَبٍ تَلْعَنُنِي. إِلْعَنْ نَفْسَكَ. فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ تُرَابٍ وَجَعَلَنِي فِي يَدِكَ لِتَتَزَوَّدَ مِنِّي لِآخِرَتِكَ وَتَتَصَدَّقَ بِي عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلضُّعَفَاءِ. وَلِتَعْمُرَ بِي ٱلْمَسَاجِدَ وَٱلْجُسُورَ وَٱلْقَنَاطِرَ. لِأَكُونَ عَوْنًا لَكَ فِي ٱلدَّارِ ٱلْآخِرَةِ. وَأَنْتَ جَمَعْتَنِي وَخَزَنْتَنِي وَفِي هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ لِحَقِّي بَلْ كَفَرْتَنِي. فَٱلْآنَ تَرَكْتَنِي لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَنَدَامَتِكَ. فَأَيُّ ذَنْبٍ لِي حَتَّى تَسُبَّنِي: ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ ٱلْمَوْتِ قَبَضَ رُوحَهُ. وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ ٱلطَّعَامَ. فَخَرَّ مَيِّتًا سَاقِطًا مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ كَقَوْلِهِ: حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا. أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

ٱلْحِكَايَةُ ٱلثَّالِثَةُ

حُكِيَ أَنَّ مَلِكًا جَبَّارًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ. فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ ٱلدَّارِ. وَلَهُ صُورَةٌ مُنْكَرَةٌ وَهَيْئَةٌ هَائِلَةٌ. فَٱشْمَأَزَّ مِنْ هُجُومِهِ عَلَيْهِ. وَفَزِعَ مِنْ هَيْئَتِهِ فَوَثَبَ فِي وَجْهِهِ. وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ. وَمَنْ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّخُولِ عَلَيَّ وَأَمَرَكَ بِٱلْمَجِيءِ إِلَى دَارِي: فَقَالَ: أَمَرَنِي صَاحِبُ ٱلدَّارِ. وَأَنَا لَا يَحْجُبُنِي حَاجِبٌ وَلَا أَحْتَاجُ فِي دُخُولِ ٱلْمُلُوكِ إِلَى إِذْنٍ. وَلَا أَرْهَبُ سِيَاسَةَ سُلْطَانٍ. وَلَا كَثْرَةَ أَعْوَانٍ. أَنَا ٱلَّذِي لَا يَفْزَعُنِي جَبَّارٌ. وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْضَتِي فِرَارٌ. أَنَا هَادِمُ ٱللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقُ ٱلْجَمَاعَاتِ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ هٰذَا

ٱلْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَّتِ ٱلرِّعْدَةُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنْتَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ: قَالَ: نَعَمْ: قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِٱللهِ إِلَّا مَا أَمْهَلْتَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي. وَأَطْلُبَ ٱلْعُذْرَ مِنْ رَبِّي وَأَرُدَّ ٱلْأَمْوَالَ ٱلَّتِي فِي خَزَائِنِي لِأَرْبَابِهَا. وَلَا أَتَحَمَّلَ مَشَقَّةَ حِسَابِهَا. وَوَيْلَ عِقَابِهَا: فَقَالَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ذٰلِكَ. وَكَيْفَ أُمْهِلُكَ وَأَيَّامُ عُمْرِكَ مَحْسُوبَةٌ وَأَنْفَاسُكَ مَعْدُودَةٌ. وَأَوْقَاتُكَ مُثْبُوتَةٌ مَكْتُوبَةٌ: فَقَالَ: أَمْهِلْنِي سَاعَةً: فَقَالَ: إِنَّ ٱلسَّاعَةَ فِي ٱلْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ وَأَنْتَ غَافِلٌ. وَٱنْقَضَتْ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ. وَقَدِ ٱسْتَوْفَيْتَ أَنْفَاسَكَ. وَلَمْ يَبْقَ لَكَ إِلَّا نَفَسٌ وَاحِدٌ: فَقَالَ: مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقِلْتُ إِلَى لَحْدِي: قَالَ: لَا يَكُونُ عِنْدَكَ إِلَّا عَمَلُكَ: فَقَالَ: مَالِي عَمَلٌ: قَالَ: لَا جَرَمَ إِنَّهُ يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي ٱلنَّارِ وَمَصِيرُكَ إِلَى غَضَبِ ٱلْجَبَّارِ: ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ سَاقِطًا عَنْ سَرِيرِهِ. وَوَقَعَ إِلَى ٱلْأَرْضِ. فَحَصَلَ ٱلضَّجِيجُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. وَٱرْتَفَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ وَعَلَا ٱلصِّيَاحُ وَٱلْبُكَاءُ. وَلَوْ عَلِمُوا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ سَخَطِ رَبِّهِ لَكَانَ بُكَاؤُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوِيلُهُمْ أَشَدَّ وَأَوْفَرَ

ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ ٱلدَّائِمُ

حُكِيَ أَنَّ إِسْكَنْدَرَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ٱجْتَازَ فِي سَفَرِهِ بِقَوْمٍ ضُعَفَاءَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ ٱلدُّنْيَا. وَقَدْ حَفَرُوا قُبُورَ مَوْتَاهُمْ عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ. وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَعَهَّدُونَ تِلْكَ ٱلْقُبُورَ. وَيَكْنُسُونَ ٱلتُّرَابَ عَنْهَا. وَيُنَظِّفُونَهَا وَيَزُورُونَهَا. وَيَعْبُدُونَ ٱللهَ تَعَالَى فِيهَا. وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا ٱلْحَشِيشُ وَنَبَاتُ ٱلْأَرْضِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ إِسْكَنْدَرُ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدْعِي

مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ. فَلَمْ يُجِبْهُ. وَقَالَ: مَالِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ: فَسَارَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ. وَقَالَ: كَيْفَ حَالُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. فَإِنِّي لَا أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ فِضَّةٍ وَلَا أَجِدُ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ ٱلدُّنْيَا: فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَعِيمَ ٱلدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ: فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ: لِمَ حَفَرْتُمُ ٱلْقُبُورَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ: فَقَالَ: لِتَكُونَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا. فَنَنْظُرُ إِلَيْهَا وَنُجَدِّدُ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ وَلَا نَنْسَى ٱلْآخِرَةَ وَيَذْهَبُ حُبُّ ٱلدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا. فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى: فَقَالَ إِسْكَنْدَرُ: كَيْفَ تَأْكُلُونَ ٱلْحَشِيشَ: قَالَ: لِأَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا قُبُورَ ٱلْحَيَوَانَاتِ. وَلِأَنَّ لَذَّةَ ٱلطَّعَامِ لَا تَتَجَاوَزُ ٱلْحَلْقَ: ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قِحْفًا مِنْ رَأْسِ آدَمِيٍّ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ إِسْكَنْدَرَ. وَقَالَ لَهُ: يَاذَا ٱلْقَرْنَيْنِ. أَتَعْلَمُ مَنْ كَانَ صَاحِبُ هٰذَا: قَالَ: لَا: قَالَ: كَانَ صَاحِبُهُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلدُّنْيَا. فَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ وَيَجُورُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَيَسْتَفْرِغُ زَمَانَهُ فِي جَمْعِ حُطَامِ ٱلدُّنْيَا. فَقَبَضَ ٱللهُ رُوحَهُ. وَجَعَلَ ٱلنَّارَ مَقَرَّهُ وَهٰذَا رَأْسُهُ: ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ قِحْفًا آخَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُ هٰذَا: قَالَ: لَا: قَالَ هٰذَا كَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِهِ. شَفُوقًا عَلَى أَهْلِ وِلَايَتِهِ وَمُلْكِهِ. فَقَبَضَ ٱللهُ رُوحَهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ: وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ وَقَالَ: تُرَى أَنْتَ أَيُّ هٰذَيْنِ ٱلرَّأْسَيْنِ: فَبَكَى ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ بُكَاءً شَدِيدًا وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَغِبْتَ فِي صُحْبَتِي. سَلَّمْتُ إِلَيْكَ وِزَارَتِي وَقَاسَمْتُكَ فِي مَمْلَكَتِي: فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: هَيْهَاتَ. هَيْهَاتَ. مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هٰذَا: فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ: وَلِمَ ذٰلِكَ: قَالَ: لِأَنَّ ٱلْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ بِسَبَبِ ٱلْمَالِ وَٱلْمُلْكِ ٱلَّذِي أُعْطِيتَهُ. وَجَمِيعُهُمْ أَصْدِقَائِي

فِي ٱلْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ ٱلْقَنَاعَةِ وَٱلصَّعْلَكَةِ . لِأَنَّنِي لَيْسَ لِي مُلْكٌ وَلَا طَمَعٌ فِي ٱلدُّنْيَا . وَلَا لِي إِلَيْهَا طَلَبٌ . وَلَا فِيهَا أَرَبٌ . وَلَيْسَ لِي إِلَّا ٱلْقَنَاعَةُ حَسْبُ . فَضَمَّهُ إِسْكَنْدَرُ إِلَى صَدْرِهِ . وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَٱنْصَرَفَ

نُخَبٌ
مِمَّا كَتَبَهُ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ
فِي ٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمِ وَٱلْمُكَافَأَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ

فِي طَلِبَتَيْ أَعْمَيَيْنِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَعْمَيَيْنِ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَى طَرِيقِ أُمِّ جَعْفَرٍ . وَكَانَتْ مَوْصُوفَةً بِٱلْكَرَمِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا ذَا عِيَالٍ وَأَهْلٍ وَكَانَ يَقُولُ : ٱللَّهُمَّ ٱرْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ ٱلْوَاسِعِ . وَكَانَ ٱلْآخَرُ عَزَبًا لَا أَهْلَ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ : ٱللَّهُمَّ ٱرْزُقْنِي مِنْ فَضْلِ أُمِّ جَعْفَرٍ . فَصَارَتْ تُرْسِلُ لِلطَّالِبِ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ دِرْهَمَيْنِ وَتُرْسِلُ لِطَالِبِ فَضْلِهَا رَغِيفَيْنِ بَيْنَهُمَا دَجَاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ فِي بَطْنِهَا عَشَرَةُ دَنَانِيرَ لَمْ تُعْلِمْهُ بِهَا . فَكَانَ يَكْرَهُ ذٰلِكَ وَيَقُولُ لِلْآخَرِ : خُذْ هٰذَيْنِ ٱلرَّغِيفَيْنِ وَٱلدَّجَاجَةَ وَأَعْطِنِي ٱلدِّرْهَمَيْنِ فَيَفْعَلُ ذٰلِكَ . فَمَضَى عَلَى ذٰلِكَ شَهْرٌ . ثُمَّ أَرْسَلَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ تَقُولُ : قُولُوا لِطَالِبِ فَضْلِنَا أَمَا أَغْنَاكَ عَطَاؤُنَا . فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا لَهَا مَاذَا أَعْطَيْتِهِ . فَقَالَتْ : ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ : لَا وَٱللهِ بَلْ كَانَتْ تُرْسِلُ لِي دَجَاجَةً وَرَغِيفَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ وَكُنْتُ أَبِيعُهَا لِصَاحِبِي بِدِرْهَمَيْنِ . فَقَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ : صَدَقَ ٱلرَّجُلُ . إِنَّهُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِ

ٱللَّهِ فَأَغْنَاهُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَلَمْ يَقْصِدْ غِنَاهُ. وَٱلْآخَرُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِنَا فَرَحِمَهُ ٱللَّهُ. (نوادر القليوبي)

فِي قِطٍّ يَقُوتُ قِطًّا

حَكَى ٱبْنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ فِي تَرْجَمَةِ ٱلْإِمَامِ أَبِي ٱلْحَسَنِ بْنِ بَابَشَاذَ ٱلنَّحْوِيِّ. أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى سَطْحِ جَامِعِ مِصْرَ يَأْكُلُ شَيْئًا وَعِنْدَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ. فَحَضَرَهُمْ قِطٌّ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً فِي فِيهِ وَغَابَ عَنْهُمْ. ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً ثَانِيَةً فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ. ثُمَّ عَادَ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ. ثُمَّ عَادَ فَفَعَلَ ذٰلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَهُمْ يَرْمُونَ لَهُ وَهُوَ يَأْخُذُ وَيَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ مِنْ فَوْرِهِ فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ. فَتَبِعُوهُ فَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ ذٰلِكَ ٱلطَّعَامَ وَيَدْخُلُ بِهِ إِلَى خِرْبَةٍ فِيهَا شِبْهُ ٱلْبَيْتِ ٱلْخَرَابِ وَفِي سَطْحِ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ قِطٌّ أَعْمَى. فَإِذَا هُوَ يَضَعُ ٱلطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذٰلِكَ. فَقَالَ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ بَابَشَاذَ: إِذَا كَانَ هٰذَا حَيَوَانًا أَخْرَسَ قَدْ سَخَّرَ ٱللَّهُ لَهُ هٰذَا ٱلْقِطَّ وَهُوَ يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ وَلَمْ يَحْرِمْهُ ٱلرِّزْقَ فَكَيْفَ يُضِيعُ مِثْلِي. ثُمَّ قَطَعَ ٱلشَّيْخُ عَلَائِقَهُ وَتَرَكَ خِدْمَةَ ٱلسُّلْطَانِ وَلَزِمَ بَيْتَهُ وَتَرَكَ جَمِيعَ أَشْغَالِهِ تَوَكُّلًا عَلَى ٱللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنْ مَاتَ (حياة الحيوان للدميري)

فِي جُودِ مَلِكٍ

قِيلَ إِنَّ ٱلْمَلِكَ خِسْرُوَ بْنَ بَرْوِيزَ كَانَ يُحِبُّ أَكْلَ ٱلسَّمَكِ وَكَانَ يَوْمًا جَالِسًا فِي ٱلْمَنْظَرَةِ وَشِيرِينُ عِنْدَهُ فَجَاءَ صَيَّادٌ وَمَعَهُ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ وَأَهْدَاهَا لِخِسْرُو وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَقَالَتْ شِيرِينُ: بِئْسَ مَا صَنَعْتَ. فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِمَ. فَقَالَتْ: لِأَنَّكَ إِذَا أَعْطَيْتَ

بَعْدَ هٰذَا لِأَحَدٍ مِنْ حَشَمِكَ هٰذَا ٱلْقَدَرَ . قَالَ : قَدْ أَعْطَانِي مِثْلَ عَطِيَّةِ ٱلصَّيَّادِ . فَقَالَ : لَقَدْ صَدَقْتِ . وَلٰكِنْ يَقْبُحُ بِٱلْمُلُوكِ أَنْ يَرْجِعُوا فِي هِبَاتِهِمْ وَقَدْ فَاتَ ٱلْأَمْرُ . فَقَالَتْ شِيرِينُ : أَنَا أُدَبِّرُ هٰذَا ٱلْحَالَ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . فَقَالَتْ : تَدْعُو ٱلصَّيَّادَ وَتَقُولُ لَهُ : هٰذِهِ ٱلسَّمَكَةُ ذَكَرٌ هِيَ أَمْ أُنْثَى . فَإِنْ قَالَ ذَكَرٌ فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ أُنْثَى . وَإِنْ قَالَ أُنْثَى فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ ذَكَرًا . فَنُودِيَ ٱلصَّيَّادُ فَعَادَ . وَكَانَ ٱلصَّيَّادُ ذَا ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ . فَقَالَ لَهُ خِسْرُو : هٰذِهِ ٱلسَّمَكَةُ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى . فَقَبَّلَ ٱلصَّيَّادُ ٱلْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هٰذِهِ ٱلسَّمَكَةُ خُنْثَى لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى . فَضَحِكَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَمَضَى ٱلصَّيَّادُ إِلَى ٱلْخَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَوَضَعَهَا فِي جِرَابٍ كَانَ مَعَهُ . وَحَمَلَهَا عَلَى عُنُقِهِ وَهَمَّ بِٱلْخُرُوجِ فَوَقَعَ مِنَ ٱلْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ ٱلصَّيَّادُ ٱلْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ وَٱنْحَنَى عَلَى ٱلدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَٱلْمَلِكُ وَشِيرِينُ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ شِيرِينُ لِخِسْرُو : أَرَأَيْتَ خِسَّةَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ فَأَلْقَى عَنْ كَاهِلِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَٱنْحَنَى عَلَى ٱلدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْهُلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَهُ لِيَأْخُذَهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ ٱلْمَلِكِ . فَحَرِدَ خِسْرُو مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ : صَدَقْتِ يَا شِيرِينُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ ٱلصَّيَّادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ ٱلْهِمَّةِ لَسْتَ بِإِنْسَانٍ وَضَعْتَ هٰذَا ٱلْمَالَ عَنْ عُنُقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسِفْتَ أَنْ تَتْرُكَهُ فِي مَكَانِهِ . فَقَبَّلَ ٱلصَّيَّادُ ٱلْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَرْفَعْ ذٰلِكَ ٱلدِّرْهَمَ لِخَطَرِهِ عِنْدِي . وَإِنَّمَا رَفَعْتُهُ عَنِ ٱلْأَرْضِ لِأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ صُورَةَ ٱلْمَلِكِ وَعَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْآخَرِ ٱسْمَ ٱلْمَلِكِ . فَخَشِيتُ أَنْ

يَأْتِي أَحَدٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَضَعُ عَلَيْهِ قَدَمَيْهِ فَيَكُونُ ذٰلِكَ ٱسْتِخْفَافًا بِٱسْمِ ٱلْمَلِكِ وَأَكُونُ أَنَا ٱلْمُؤَاخَذُ بِهٰذَا. فَعَجِبَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَٱسْتَحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَعَادَ ٱلصَّيَّادُ وَمَعَهُ ٱثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. وَأَمَرَ خِسْرُو مُنَادِيًا يُنَادِي لَا يَتَدَبَّرْ أَحَدٌ بِرَأْيِ ٱلنِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدَبَّرَ بِرَأْيِهِنَّ وَٱعْتَمَدَ بِأَمْرِهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمَهُ (التبر المسبوك للغزّالي)

فِي جُودِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكَى فِي ٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ ٱلشَّاعِرُ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُتَوَلٍّ بِلَادَ ٱلْيَمَنِ. أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلَبِي وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُنِي إِلَيْهِ مَالًا. قَالَ: فَٱضْطُرِرْتُ لِشِدَّةِ ٱلطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتَّى لَوَّحَتْ وَجْهِي وَخَفَّفْتُ عَارِضِي وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صُوفٍ وَرَكِبْتُ جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى ٱلْبَادِيَةِ لِأُقِيمَ بِهَا. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ. تَبِعَنِي أَسْوَدُ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتَّى إِذَا غِبْتُ عَنِ ٱلْحَرَسِ قَبَضَ عَلَى خِطَامِ ٱلْجَمَلِ فَأَنَاخَهُ وَقَبَضَ عَلَى يَدِي. فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا بِكَ. قَالَ: أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقُلْتُ: وَمَنْ أَنَا حَتَّى أُطْلَبَ. فَقَالَ: أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا هٰذَا ٱتَّقِ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَيْنَ أَنَا مِنْ مَعْنٍ. فَقَالَ: دَعْ هٰذَا فَإِنِّي لَأَعْرَفُ بِكَ مِنْكَ. فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ ٱلْجِدَّ قُلْتُ لَهُ: هٰذَا عِقْدُ جَوْهَرٍ فَقَدْ حَمَلْتُهُ مَعِي بِأَضْعَافِ مَا جَعَلَهُ ٱلْمَنْصُورُ لِمَنْ يَجِيئُهُ بِي. فَخُذْهُ وَلَا تَكُنْ سَبَبًا لِسَفْكِ دَمِي. قَالَ: هَاتِهِ. فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ: صَدَقْتَ فِي قِيمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلَقْتُكَ.

فَقُلْتُ: قُلْ. قَالَ: إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِٱلْجُودِ. فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ مَالَكَ كُلَّهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَنِصْفَهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَثُلْثَهُ. قُلْتُ: لَا. حَتَّى بَلَغَ ٱلْعُشْرَ فَٱسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ: أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هٰذَا. قَالَ: وَمَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ. أَنَا رَجُلٌ وَرِزْقِي مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ كُلَّ شَهْرٍ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَهٰذَا ٱلْجَوْهَرُ قِيمَتُـهُ أُلُوفُ دَنَانِيرَ قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجُودِكَ ٱلْمَأْثُورِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ. وَلْتَعْلَمْ أَنَّ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ فَلَا تُعْجِبَكَ نَفْسُكَ وَلْتَحْقِرْ بَعْدَ هٰذَا كُلَّ جُودٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفْ عَنْ مَكْرُمَةٍ. ثُمَّ رَمَى ٱلْعِقْدَ فِي حِجْرِي وَتَرَكَ خِطَامَ ٱلْجَمَلِ وَوَلَّى مُنْصَرِفًا. فَقُلْتُ: يَا هٰذَا لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَلَسَفْكُ دَمِي عَلَيَّ أَهْوَنُ مِمَّا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتَهُ لَكَ فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْهُ. فَضَحِكَ وَقَالَ: أَرَدْتَ أَنْ تُكَذِّبَنِي فِي مَقَالِي هٰذَا. وَٱللّٰهِ لَا أَخَذْتُهُ وَلَا آخُذُ لِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا. وَمَضَى لِسَبِيلِهِ. ثُمَّ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ آمَنْتُ وَبَذَلْتُ لِمَنْ يَجِيءُ بِهِ مَا شَاءَ فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبَرًا (ثمرات الاوراق للحموي)

فِي ٱلْمُكَافَأَةِ

مِمَّا جَاءَ فِي ٱلْمُكَافَأَةِ مَا حُكِيَ عَنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ٱلْبَرْمَكِيِّ وَقَدْ خَلَا فِي مَجْلِسِهِ لِإِحْكَامِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ ٱلرَّشِيدِ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْحَوَائِجِ فَقَضَاهَا لَهُمْ. ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِشَأْنِهِمْ فَكَانَ آخِرَهُمْ قِيَامًا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ٱلْأَحْوَلِ. فَنَظَرَ يَحْيَى إِلَيْهِ وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْفَضْلِ ٱبْنِهِ وَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ لِأَبِيكَ مَعَ أَبِ هٰذَا ٱلْفَتَى حَدِيثًا. فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْ شُغْلِي هٰذَا فَذَكِّرْنِي أُحَدِّثْكَ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شُغْلِهِ وَطَعِمَ قَالَ لَهُ ٱبْنُهُ ٱلْفَضْلُ: أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ يَا أَبِي

أَمَرْتَنِي أَنْ أُذَكِّرَكَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدٍ ٱلْأَحْوَلِ. قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. لَمَّا قَدِمَ أَبُوكَ مِنَ ٱلْعِرَاقِ أَيَّامَ ٱلْمَهْدِيِّ كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا. فَاشْتَدَّ بِيَ ٱلْأَمْرُ إِلَى أَنْ قَالَ لِي: مَنْ فِي مَنْزِلِي إِنَّا كَتَمْنَا حَالَنَا وَزَادَ ضَرَرُنَا وَلَنَا ٱلْيَوْمَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ نَقْتَاتُ بِهِ. قَالَ: فَبَكَيْتُ يَا بُنَيَّ لِذَلِكَ بُكَاءً شَدِيدًا. وَبَقِيتُ وَلْهَانَ حَيْرَانَ مُطْرِقًا مُفَكِّرًا. ثُمَّ تَذَكَّرْتُ مِنْدِيلًا كَانَ عِنْدِي فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا حَالُ ٱلْمِنْدِيلِ. فَقَالُوا: هُوَ بَاقٍ عِنْدَنَا. فَقُلْتُ: ٱدْفَعُوهُ إِلَيَّ. فَأَخَذْتُهُ وَدَفَعْتُهُ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِي وَقُلْتُ لَهُ: بِعْهُ بِمَا تَيَسَّرَ. فَبَاعَهُ بِسَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا. فَدَفَعْتُهَا إِلَى أَهْلِي وَقُلْتُ: أَنْفِقُوهَا إِلَى أَنْ يَرْزُقَ ٱللهُ غَيْرَهَا. ثُمَّ بَكَرْتُ مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَزِيرُ ٱلْمَهْدِيِّ. فَإِذَا ٱلنَّاسُ وُقُوفٌ عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَاكِبًا. فَلَمَّا رَآنِي سَلَّمَ عَلَيَّ وَقَالَ: كَيْفَ حَالُكَ. فَقُلْتُ. يَا أَبَا خَالِدٍ مَا حَالُ رَجُلٍ يَبِيعُ مِنْ مَنْزِلِهِ بِٱلْأَمْسِ مِنْدِيلًا بِسَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا. فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظَرًا شَدِيدًا وَمَا أَجَابَنِي جَوَابًا. فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي كَسِيرَ ٱلْقَلْبِ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا ٱتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ. فَقَالُوا: بِئْسَ وَٱللهِ مَا فَعَلْتَ. تَوَجَّهْتَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَرْتَضِيكَ لِأَمْرٍ جَلِيلٍ فَكَشَفْتَ لَهُ سِرَّكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى مَكْنُونِ أَمْرِكَ. فَأَزْرَيْتَ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ وَصَغَّرْتَ عِنْدَهُ مَنْزِلَتَكَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا. فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ إِلَّا بِهَذِهِ ٱلْعَيْنِ. فَقُلْتُ. قَدْ قَضَى ٱلْأَمْرُ ٱلْآنَ بِمَا لَا يُمْكِنُ ٱسْتِدْرَاكُهُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ بَكَرْتُ إِلَى بَابِ ٱلْخَلِيفَةِ. فَلَمَّا بَلَغْتُ ٱلْبَابَ ٱسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قَدْ ذُكِرْتَ ٱلسَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَلَمْ أَلْتَفِتْ لِقَوْلِهِ. فَٱسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَمَقَالَةِ

ٱلْأَوَّلِ. ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ فَقَالَ لِي: أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ. فَلَمَّا رَآنِي دَعَانِي وَأَمَرَ لِي بِمَرْكُوبٍ فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: عَلَيَّ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ ٱلْحَنَّاطِينِ فَأُحْضِرَا. فَقَالَ لَهُمَا: أَلَمْ تَشْتَرِيَا مِنِّي غَلَّاتِ ٱلسَّوَادِ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالَا: نَعَمْ. قَالَ: أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَةَ رَجُلٍ مَعَكُمَا قَالَا: بَلَى. قَالَ: هُوَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي ٱشْتَرَطْتُ شِرْكَتَهُ لَكُمَا ثُمَّ قَالَ لِي: قُمْ مَعَهُمَا. فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي: ٱدْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ ٱلْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ ٱلرِّبْحُ ٱلْهَنِيءُ. فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَا لِي: إِنَّكَ تَحْتَاجُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ إِلَى وُكَلَاءَ وَأُمَنَاءَ وَكَيَّالِينَ وَأَعْوَانٍ وَمُؤَنٍ لَمْ تَقْدِرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ. فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شِرْكَتَكَ بِمَالٍ نُعَجِّلُهُ لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَيَسْقُطَ عَنْكَ ٱلتَّعَبُ وَٱلْكُلَفُ. فَقُلْتُ لَهُمَا: وَكَمْ تَبْذُلَانِ لِي. فَقَالَا: مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقُلْتُ: لَا أَفْعَلُ فَمَا زَالَا يَزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَى أَنْ قَالَا لِي: ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَلَا زِيَادَةَ عِنْدَنَا عَلَى هٰذَا. فَقُلْتُ: حَتَّى أُشَاوِرَ أَبَا خَالِدٍ. قَالَا: ذٰلِكَ لَكَ. فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِمَا وَقَالَ لَهُمَا: هَلْ وَافَقْتُمَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَ. قَالَا: نَعَمْ. قَالَ: ٱذْهَبَا فَٱقْبِضَاهُ ٱلْمَالَ ٱلسَّاعَةَ. ثُمَّ قَالَ لِي: أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ قَلَّدْتُكَ ٱلْعَمَلَ. فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَلَّدَنِي مَا وَعَدَنِي بِهِ. فَمَا زِلْتُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ. ثُمَّ قَالَ لِوَلَدِهِ ٱلْفَضْلِ: يَا بُنَيَّ فَمَا تَقُولُ فِي ٱبْنِ مَنْ فَعَلَ بِأَبِيكَ هٰذَا ٱلْفِعْلَ وَمَا جَزَاؤُهُ. قَالَ: حَقٌّ لَعَمْرِي وَجَبَ عَلَيْكَ لَهُ. فَقَالَ: وَٱللهِ يَا وَلَدِي مَا أَجِدُ لَهُ مُكَافَأَةً غَيْرَ أَنِّي أَعْزِلُ نَفْسِي

وَأُولِيهِ. فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَهٰكَذَا تَكُونُ ٱلْمُكَافَأَةُ (للابشيهي)

أَلصَّانِعُ وَصَائِغُ ٱلْخَلِيفَةِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلنَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ ٱلصِّيَاغَةِ وَكَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ. فَسَاءَ حَالُهُ وَٱفْتَقَرَ بَعْدَ غِنَاهُ فَكَرِهَ ٱلْإِقَامَةَ فِي بَلَدِهِ فَٱنْتَقَلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ ٱلصَّاغَةِ فَوَجَدَ دُكَّانًا لِمُعَلِّمِ ٱلسَّلْطَنَةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَّاعٌ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ ٱلْأَشْغَالَ لِلسَّلْطَنَةِ وَلَهُ سَعَادَةٌ ظَاهِرَةٌ مَا بَيْنَ مَمَالِيكَ وَخَدَمٍ وَقُمَاشٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ. فَتَوَصَّلَ ٱلصَّائِغُ ٱلْغَرِيبُ إِلَى أَنْ بَقِيَ مِنْ أَحَدِ ٱلصُّنَّاعِ ٱلَّذِينَ فِي دُكَّانِ هٰذَا ٱلْمُعَلِّمِ. وَأَقَامَ يَعْمَلُ عِنْدَهُ مُدَّةً وَكُلَّمَا فَرَغَ ٱلنَّهَارُ دَفَعَ لَهُ دِرْهَمَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَتَكُونُ أُجْرَةُ عَمَلِهِ تُسَاوِي عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَيَكْسِبُ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ طَلَبَ ٱلْمُعَلِّمَ وَنَاوَلَهُ فَرْدَةَ سِوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعَةً بِفُصُوصٍ فِي غَايَةٍ مِنَ ٱلْحُسْنِ قَدْ عُمِلَتْ فِي غَيْرِ بِلَادِهِ كَانَتْ فِي يَدِ إِحْدَى مَحَاظِيهِ فَٱنْكَسَرَتْ. فَقَالَ لَهُ: أَلْحِمْهَا. فَأَخَذَهَا ٱلْمُعَلِّمُ وَقَدِ ٱضْطَرَبَ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهَا. فَلَمَّا أَخَذَهَا وَأَرَاهَا لِلصُّنَّاعِ ٱلَّذِينَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ فَمَا قَالَ لَهُ أَحَدٌ إِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهَا. فَٱزْدَادَ ٱلْمُعَلِّمُ لِذٰلِكَ غَمًّا وَمَضَتْ مُدَّةٌ وَهِيَ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ. فَٱشْتَدَّ ٱلْمَلِكُ عَلَى إِحْضَارِهَا وَقَالَ: هٰذَا ٱلْمُعَلِّمُ نَالَ مِنْ جِهَتِنَا هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةَ ٱلْعَظِيمَةَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَلْحَمَ سِوَارًا. فَلَمَّا رَأَى ٱلصَّانِعُ ٱلْغَرِيبُ شِدَّةَ مَا نَالَ ٱلْمُعَلِّمَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: هٰذَا وَقْتُ ٱلْمُرُوَّاتِ أَعْمَلُهَا وَلَا أُوَاخِذُهُ بِبُخْلِهِ عَلَيَّ وَعَدَمِ إِنْصَافِهِ وَلَعَلَّهُ يُحْسِنُ إِلَيَّ بَعْدَ ذٰلِكَ. فَحَطَّ يَدَهُ فِي دَرْجِ ٱلْمُعَلِّمِ وَأَخَذَهَا وَفَكَّ جَوَاهِرَهَا وَسَبَكَهَا.

ثُمَّ صَاغَهَا كَمَا كَانَتْ وَنَظَمَ عَلَيْهَا جَوَاهِرَهَا فَعَادَتْ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتْ. فَلَمَّا رَآهَا ٱلْمُعَلِّمُ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا. ثُمَّ مَضَى بِهَا إِلَى ٱلْمَلِكِ فَلَمَّا رَآهَا ٱسْتَحْسَنَهَا وَٱدَّعَى ٱلْمُعَلِّمُ أَنَّهَا صَنْعَتُهُ. فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً. فَجَاءَ وَجَلَسَ مَكَانَهُ فَبَقِيَ ٱلصَّانِعُ يَرْجُو مُكَافَأَتَهُ عَمَّا عَامَلَهُ بِهِ فَمَا ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ ٱلْمُعَلِّمُ. وَلَمَّا كَانَ ٱلنَّهَارُ مَا زَادَهُ عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ شَيْئًا. فَمَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَإِذَا ٱلْمَلِكُ ٱخْتَارَ أَنْ يَعْمَلَ زَوْجَيْ أَسَاوِرَ عَلَى تِلْكَ ٱلصُّورَةِ فَطَلَبَ ٱلْمُعَلِّمَ وَرَسَمَ لَهُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي تَحْسِينِ ٱلصِّفَةِ وَسُرْعَةِ ٱلْعَمَلِ. فَجَاءَ إِلَى ٱلصَّانِعِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ ٱلْمَلِكُ. فَٱمْتَثَلَ مَرْسُومَهُ وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَصِبًا إِلَى أَنْ عَمِلَ ٱلزَّوْجَيْنِ وَهُوَ لَا يَزِيدُهُ شَيْئًا عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَا يَشْكُرُهُ وَلَا يَعِدُهُ بِخَيْرٍ وَلَا يَتَجَمَّلُ مَعَهُ. فَرَأَى ٱلْمَصْلَحَةَ أَنْ يَنْقُشَ عَلَى زَوْجٍ مِنْهُمَا أَبْيَاتًا يَشْرَحُ فِيهَا حَالَهُ لِيَقِفَ عَلَيْهَا ٱلْمَلِكُ.

فَنَقَشَ فِي بَاطِنِ أَحَدِهِمَا هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ نَقْشًا خَفِيًّا يَقُولُ:

مَصَائِبَ ٱلدَّهْرِ كُفِّي ... إِنْ لَمْ تَكُفِّي فَعِفِّي
خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي ... وَجَدْتُ رِزْقِي تُوُفِّي
فَلَا بِرِزْقِيَ أَحْظَى ... وَلَا بِصَنْعَةِ كَفِّي
كَمْ جَاهِلٍ فِي ٱلثُّرَيَّا ... وَعَالِمٍ مُتَخَفِّي

قَالَ: وَعَزَمَ ٱلصَّانِعُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ ظَهَرَتِ ٱلْأَبْيَاتُ لِلْمُعَلِّمِ شَرَحَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَإِنْ غُمَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَهَا كَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ تَوَصُّلِهِ إِلَى ٱلْمَلِكِ. ثُمَّ لَفَّهُمَا فِي قُطْنٍ وَنَاوَلَهُمَا لِلْمُعَلِّمِ فَرَأَى ظَاهِرَهُمَا وَلَمْ يَرَ بَاطِنَهُمَا لِجَهْلِهِ بِٱلصَّنْعَةِ وَلِمَا سَبَقَ لَهُ فِي ٱلْقَضَاءِ. فَأَخَذَهُمَا ٱلْمُعَلِّمُ وَمَضَى بِهِمَا فَرِحًا إِلَى ٱلْمَلِكِ

وَقَدَّمَهُمَا إِلَيْهِ. فَلَمْ يَشُكَّ فِي أَنَّهُمَا صَنْعَتُهُ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَكَرَهُ. ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ مَكَانَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ٱلصَّانِعِ وَمَا زَادَهُ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ شَيْئًا عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي خَلَا خَاطِرُ ٱلْمَلِكِ فَٱسْتَحْضَرَ ٱلْحَظِيَّةَ ٱلَّتِي عَمِلَ لَهَا ٱلسِّوَارَيْنِ ٱلذَّهَبَ. فَحَضَرَتْ وَهُمَا فِي يَدَيْهَا فَأَخَذَهُمَا لِيُعِيدَ نَظَرَهُ فِيهِمَا وَفِي حُسْنِ صَنْعَتِهِمَا. فَقَرَأَ ٱلْأَبْيَاتَ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ: هٰذَا شَرْحُ حَالِ صَانِعِهِمَا وَٱلْمُعَلِّمُ يَكْذِبُ. فَغَضِبَ عِنْدَ ذٰلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ ٱلْمُعَلِّمِ. فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ: مَنْ عَمِلَ هٰذَيْنِ ٱلسِّوَارَيْنِ. قَالَ: أَنَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. قَالَ: فَمَا سَبَبُ نَقْشِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ. قَالَ: لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا أَبْيَاتٌ. قَالَ: كَذَبْتَ ثُمَّ أَرَاهُ ٱلنَّقْشَ وَقَالَ: إِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي ٱلْحَقَّ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. فَأَصْدَقَهُ ٱلْحَقَّ فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ بِإِحْضَارِ ٱلصَّانِعِ. فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ. فَحَكَى لَهُ قِصَّتَهُ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ ٱلْمُعَلِّمِ. فَرَسَمَ ٱلْمَلِكُ بِعَزْلِ ٱلْمُعَلِّمِ وَأَنْ تُسْلَبَ نِعْمَتُهُ وَتُعْطَى لِلصَّانِعِ وَأَنْ يَكُونَ عِوَضًا عَنْهُ فِي ٱلْخِدْمَةِ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً وَصَارَ مُقَدَّمًا سَعِيدًا. فَلَمَّا نَالَ هٰذِهِ ٱلدَّرَجَةَ وَتَمَكَّنَ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ تَلَطَّفَ بِهِ حَتَّى رَضِيَ عَنِ ٱلْمُعَلِّمِ ٱلْأَوَّلِ وَصَارَا شَرِيكَيْنِ وَمَكَثَا عَلَى ذٰلِكَ إِلَى آخِرِ ٱلْعُمْرِ

إِحْسَانُ كَرِيمٍ إِلَى عَدُوِّهِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ (وَبَيْنَ) عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَدَاوَةٌ عَظِيمَةٌ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ضَامِنًا أَعْمَالَ خَرَاجٍ كَضِيَاعٍ وَغَيْرِهِ فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِقْدَارُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلْمَأْمُونُ بِطَلَبِهَا وَشَدَّدَ بِهَا إِلَى أَنْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ حَاجِبِهِ: أَمْهِلْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ أَحْضَرَ ٱلْمَالَ وَإِلَّا فَٱضْرِبْهُ بِٱلسِّيَاطِ حَتَّى يَدْفَعَ ٱلْمَالَ أَوْ يَتْلَفَ. فَٱنْصَرَفَ عَلِيٌّ

ٱبْنُ مُوسَى مِنْ دَارِ ٱلْمَأْمُونِ وَقَدِ ٱرْتَاعَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ وَجْهًا يَتَّجِهُ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ: إِذَا عَرَّجْتَ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ وَعَرَّفْتَهُ خَبَرَكَ رَجَوْتُ أَنْ يُعِينَكَ عَلَى أَمْرِكَ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ مَا عَرَفْتَ. فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ وَلَكِنِ ٱلرَّجُلُ أَرْيَحِيٌّ كَرِيمٌ لَا تَمْنَعُهُ ٱلْعَدَاوَةُ ٱلَّتِي بَيْنَكُمَا عَنْ فِعْلِ ٱلْمَعْرُوفِ ٱلَّذِي هُوَ مِنْ شِيَمِ ٱلْكِرَامِ. فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَمَضَى إِلَى أَنْ جَاءَ وَدَخَلَ مَعَ كَاتِبِهِ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ. فَلَمَّا رَآهُ غَسَّانُ قَامَ إِلَيْهِ وَتَلَقَّاهُ جَمِيلًا وَوَفَّاهُ حَقَّهُ فِي ٱلْخِدْمَةِ وَقَالَ لَهُ: دَعِ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَلَى حَالِهِ وَلَكِنْ دُخُولُكَ إِلَى دَارِي تُوجِبُ حُرْمَتُهُ بُلُوغَ مَا رَجَوْتَهُ مِنِّي فَٱذْكُرْ إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ. فَقَصَّ كَاتِبُهُ عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ. فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ: أَرْجُو أَنْ يَكْفِيَكَ ٱللهُ تَعَالَى صُعُوبَةَ أَمْرِكَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَٰلِكَ شَيْئًا. فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى قَصْدِهِ غَسَّانَ وَيَئِسٌ مِنْ أَمْرِهِ وَقَالَ لِكَاتِبِهِ: مَا أَفَدْتَنِي بِٱلدُّخُولِ عَلَى غَسَّانَ سِوَى تَعْجِيلِ ٱلشَّمَاتَةِ وَٱلْهَوَانِ. فَلَمْ يَصِلْ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى إِلَى دَارِهِ أَنْ حَضَرَ إِلَيْهِ كَاتِبُ غَسَّانَ وَمَعَهُ ٱلْبِغَالُ وَعَلَيْهَا ٱلْمَالُ فَتَقَدَّمَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَتَسَلَّمَهُ وَبَاتَ فَرِحًا مَسْرُورًا. وَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ بَكَّرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَدْفَعَ ٱلْمَالَ فَوَجَدَ غَسَّانَ قَدْ سَبَقَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ عَلَى ٱلْمَأْمُونِ وَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى بِحَضْرَتِكَ حُرْمَةً وَخِدْمَةً وَسَابِقَ أَصْلٍ وَقَدْ لَحِقَهُ مِنَ ٱلْخُسْرَانِ فِي ضَمَانِهِ مَا تَعَارَفَهُ ٱلنَّاسُ وَقَدْ تَوَعَّدْتَهُ مِنَ ٱلضَّرْبِ بِٱلسِّيَاطِ مَا أَطَارَ عَقْلَهُ وَأَذْهَبَ لُبَّهُ. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْزِيَنِي مِنْ حُسْنِ كَرَمِهِ بِبَعْضِ مَا عَلَيْهِ فَهِيَ صَنِيعَةٌ لِي مِنْ إِحْسَانِهِ. وَلَمْ يَزَلْ غَسَّانُ يَتَلَطَّفُ بِٱلْمَأْمُونِ

حَتَّى حَطَّ عَنْهُ نِصْفَ مَا عَلَيْهِ وَٱقْتَصَرَ مِنْهُ بِٱلنِّصْفِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. فَقَالَ غَسَّانُ لِلْمَأْمُونِ: سَمْعًا وَطَاعَةً وَلَكِنْ عَلَى أَنْ يُجَدِّدَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَهُ ٱلضَّمَانَ وَيَخْلَعَ عَلَيْهِ لِكَيْ تَقْوَى نَفْسُهُ وَيَعْرِفَ بِهَا مَكَانَ ٱلرِّضَا عَلَيْهِ مِنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبْقَاهُ ٱللهُ. فَأَجَابَ ٱلْمَأْمُونُ إِلَى ذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ: إِنْ شَاءَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَلْتُحْمَلِ ٱلدَّوَاةُ إِلَى حَضْرَتِهِ لِتَوْقِيعِ مَا سَمَحَ بِهِ فِي مَا قَالَ. قَالَ: ٱفْعَلْ. فَحُمِلَتِ ٱلدَّوَاةُ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ وَقَدَّمَهَا غَسَّانُ لَهُ فَوَقَّعَ حِينَئِذٍ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى. وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَٱلْخِلَعُ عَلَى كَتِفَيْهِ وَٱلتَّوْقِيعُ بِيَدِهِ. فَلَمَّا حَضَرَ إِلَى دَارِهِ حَمَلَ مِنَ ٱلْمَالِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَرْسَلَهَا إِلَى غَسَّانَ وَشَكَرَهُ عَلَى جَمِيلِ فِعْلِهِ. فَقَالَ غَسَّانُ لِكَاتِبِهِ: وَٱللهِ مَا شَفَعْتُ بِهِ عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِتَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ ٱلْعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَيَنْتَفِعَ بِهَا هُوَ فَٱمْضِ بِهَا إِلَيْهِ وَرُدَّهَا لَهُ فَلَسْتُ وَٱللهِ آخِذَهَا فَهِيَ لَهُ. فَلَمَّا رَجَعَ ٱلْكَاتِبُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى مَوْلَاهُ وَبَلَّغَهُ مَا قَالَ عَرَفَ عِنْدَ ذٰلِكَ قَدْرَ مَا فَعَلَهُ غَسَّانُ مِنَ ٱلْجَمِيلِ. وَلَمْ يَزَلْ يَخْدِمُهُ وَيُوَقِّرُهُ إِلَى آخِرِ ٱلْعُمْرِ

ٱلْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلٌ سَخِيٌّ

حَكَى ٱلْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قَصَدتُّ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ رَجُلًا كُنْتُ آتِيهِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً لِكَرَمِهِ وَجُودِهِ. فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدتُّ عَلَى بَابِهِ بَوَّابًا فَمَنَعَنِي مِنَ ٱلدُّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي: وَٱللهِ يَا أَصْمَعِيُّ مَا أَوْقَفَنِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنَعَ مِثْلَكَ إِلَّا لِرِقَّةِ حَالِهِ وَقُصُورِ يَدِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ ٱلضِّيقِ. فَقُلْتُ لَهُ: أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ رُقْعَةً أُوصِلُهَا إِلَيْهِ. فَقَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً. فَأَحْضَرَ لِي قِرْطَاسًا وَقَلَمًا وَدَوَاةً فَأَخَذْتُ وَكَتَبْتُ لَهُ شِعْرًا:

إِذَا كَانَ ٱلْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضْلُ ٱلْكَرِيمِ عَلَى ٱللَّئِيمِ

ثُمَّ طَوَيْتُ ٱلرُّقْعَةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى ٱلْحَاجِبِ وَقُلْتُ لَهُ: أَوْصِلْ هٰذِهِ ٱلرُّقْعَةَ إِلَيْهِ. فَفَعَلَ وَمَضَى بِٱلرُّقْعَةِ قَلِيلًا. ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ بِٱلرُّقْعَةِ عَيْنِهَا وَقَدْ كَتَبَ تَحْتَ شِعْرِي جَوَابًا شِعْرًا:

إِذَا كَانَ ٱلْكَرِيمُ قَلِيلَ مَالٍ تَحَجَّبَ بِٱلْحِجَابِ عَنِ ٱلْغَرِيمِ

وَمَعَ ٱلرُّقْعَةِ صُرَّةٌ فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ. فَتَعَجَّبْتُ مِنْ سَخَائِهِ مَعَ قِلَّةِ مَا بِيَدِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَٱللهِ لَأُتْحِفَنَّ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ بِهٰذَا ٱلْخَبَرِ. فَٱنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ قَصْرَ ٱلْخِلَافَةِ فَٱسْتَأْذَنْتُ وَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِٱلْخِلَافَةِ. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ يَا أَصْمَعِيُّ. قُلْتُ: مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ ٱلْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ. فَدَفَعْتُ لَهُ ٱلرُّقْعَةَ وَٱلصُّرَّةَ وَسَرَدْتُ عَلَيْهِ ٱلْخَبَرَ. فَلَمَّا رَأَى ٱلصُّرَّةَ قَالَ: هٰذِهِ مِنْ بَيْتِ مَالِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ ٱلرَّجُلِ. فَقُلْتُ: وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ أَكُونَ سَبَبَ رَوْعِهِ بِإِرْسَالِكَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: لَا يَغُمَّكَ ذٰلِكَ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى بَعْضِ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُ: ٱمْضِ مَعَ ٱلْأَصْمَعِيِّ فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَٱدْخُلْ وَقُلْ لِصَاحِبِهِ: أَجِبْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلْيَكُنْ دُعَاؤُكَ لَهُ بِلَطَافَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُزْعِجَهُ. قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ: فَمَضَيْنَا وَدَعَوْنَا ٱلرَّجُلَ فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَلَّمَ بِٱلْخِلَافَةِ. فَقَالَ لَهُ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ: أَلَسْتَ أَنْتَ ٱلَّذِي وَقَفْتَ لَنَا بِٱلْأَمْسِ وَشَكَوْتَ لَنَا رِقَّةَ حَالِكَ وَقُلْتَ إِنَّكَ فِي ضِيقٍ شَدِيدٍ مِنَ ٱلِٱحْتِيَاجِ فَرَحِمْنَاكَ وَوَهَبْنَا لَكَ هٰذِهِ ٱلصُّرَّةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ وَقَدْ قَصَدَكَ ٱلْأَصْمَعِيُّ بِبَيْتٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ فَدَفَعْتَهَا لَهُ. فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَٱللهِ مَا كَذَبْتُ فِي مَا شَكَوْتُهُ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ حَالِي وَشِدَّةِ ٱحْتِيَاجِي وَلٰكِنِّي ٱسْتَحْيَيْتُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ: لِلهِ دَرُّ بَطْنٍ أَتَاكَ فَمَا وَلَدَتِ ٱلْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ. ثُمَّ بَالَغَ بِإِكْرَامِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ

إِكْرَامُ ثَلَاثَةِ أَصْدِقَاءَ مُخْلِصِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا

نُقِلَ عَنِ ٱلْوَاقِدِيِّ قَالَ: كَانَ لِي صَدِيقَانِ أَحَدُهُمَا هَاشِمِيٌّ وَكُنَّا فِي ٱلصَّدَاقَةِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. فَنَالَنِي ضِيقَةٌ شَدِيدَةٌ وَقَدْ حَضَرَ ٱلْعِيدُ. فَقَالَتْ لِيَ ٱمْرَأَتِي: يَا مَوْلَايَ أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ نَصْبِرُ عَلَى ٱلْبُؤْسِ وَٱلشِّدَّةِ وَأَمَّا صِبْيَانُنَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبِي عَلَيْهِمْ حُزْنًا وَرَحْمَةً لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ صِبْيَانَ جِيرَانِنَا وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَزَيَّنُوا فِي ٱلْعِيدِ وَهُمْ فَرِحُونَ. فَلَا بَأْسَ إِذَا ٱحْتَلْنَا فِي مَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَصْرِفَهُ فِي كُسْوَتِهِمْ. فَرَأَيْتُ كَلَامَهَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَّعَتْ فُؤَادِي مِنْ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ. فَفَكَّرْتُ فِي ٱلْحِيلَةِ وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ ٱلتَّوْسِعَةَ عَلَيَّ بِمَا يُمْكِنُهُ وَيَحْضُرُهُ. فَوَجَّهَ إِلَيَّ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ. فَمَا ٱسْتَقَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى كَتَبَ لِي صَدِيقِي ٱلْآخَرُ يَشْكُو إِلَيَّ مِثْلَمَا تَكَوْتُ أَنَا إِلَى صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيِّ. فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِٱلْكِيسِ عَلَى حَالِهِ وَخَرَجْتُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ وَأَنَا مُسْتَحٍ مِنِ ٱمْرَأَتِي. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمَتْ بِمَا فَعَلْتُ لَمْ تُعَنِّفْنِي فَبَيْنَمَا أَنَا كَذٰلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيُّ وَمَعَهُ ٱلْكِيسُ وَهُوَ بَاقٍ بِخَتْمِهِ فَقَالَ: ٱصْدُقْنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ بِمَا وَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ. فَأَخْبَرْتُهُ بِٱلْحِكَايَةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا. فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِّي ٱلتَّوْسِعَةَ وَأَنَا وَٱللهِ ثُمَّ وَٱللهِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى هٰذَا ٱلْكِيسِ ٱلَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ. ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ مَا

أَرْسَلْتُهُ لَكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسَأَلُهُ الْمُوَاسَاةَ إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُ فَوَجَّهَ إِلَيَّ الْكِيسَ بِذَاتِهِ وَهُوَ بِخَتْمِي وَهَا أَنَا ذَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ. وَبِحَيْثُ إِنَّنَا كُلُّنَا فِي ضِيقٍ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ أَحَدِنَا غَيْرُ هٰذَا الْكِيسِ فَهَلُمَّ نَقْتَسِمُهُ. ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ وَفَرَّقَ عَلَى كُلٍّ مِنَّا أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةٍ. وَبَلَغَ الْمَأْمُونَ ذٰلِكَ فَأَرْسَلَ اسْتَدْعَانِي وَسَأَلَنِي عَنِ الْقَضِيَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا هِيَ فَاسْتَدْعَى صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلٍّ مِنَّا بِأَلْفَيْ دِينَارٍ وَلِامْرَأَتِي بِأَلْفِ دِينَارٍ (لابن خلكان)

فِي تَقْدِيمِ الْإِكْرَامِ لِأَهْلِهِ

مِنْ غَزَارَةِ حِفْظِ الْوِزَارَتَيْنِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدُونَ مَا حَدَّثَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ زُهْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زُهْرٍ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هٰذَا قَدْ مَاتَ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ نَيِّفٍ عَلَى الثَّمَانِينَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيزِ دَارِنَا وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ الْأَغَانِيِّ. فَجَاءَ النَّاسِخُ بِالْكَرَارِيسِ الَّتِي كَتَبَهَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ الْأَصْلُ الَّذِي كَتَبْتَ مِنْهُ لِأُقَابِلَ مَعَكَ بِهِ. قَالَ: مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِي. فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ فِي ذٰلِكَ إِذْ دَخَلَ الدِّهْلِيزَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَذُّ الْهَيْئَةِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ أَكْثَرُهَا صُوفٌ. وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ لَاثَهَا مِنْ غَيْرِ إِتْقَانٍ لَهَا. فَحَسِبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ وَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ نَائِمٌ. هٰذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكَلُّفِ حَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ نَزْوَةُ الصِّبَى وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خُشُونَةِ هَيْئَةِ الرَّجُلِ. ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي سَاعَةً وَقَالَ: مَا هٰذَا

ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي بِأَيْدِيكُمَا. فَقُلْتُ لَهُ: مَا سُؤَالُكَ عَنْهُ. قَالَ أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ ٱسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ ٱلْكُتُبِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ ٱلْأَغَانِي. فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ بَلَغَ ٱلْكَاتِبُ مِنْهُ. قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا وَجَعَلْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُ عَلَى طَرِيقِ ٱلسُّخْرِيَةِ بِهِ وَٱلضَّحِكِ عَلَى قَالَبِهِ. فَقَالَ: وَمَا لِكَاتِبِكَ لَا يَكْتُبُ. قُلْتُ: طَلَبْتُ مِنْهُ ٱلْأَصْلَ ٱلَّذِي يَكْتُبُ مِنْهُ لِأُعَارِضَ بِهِ هٰذِهِ ٱلْأَوْرَاقَ. فَقَالَ: لَمْ أَجِئْ بِهِ مَعِي. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ خُذْ كَرَارِيسَكَ وَعَارِضْ. قُلْتُ: بِمَاذَا وَأَيْنَ ٱلْأَصْلُ. قَالَ: كُنْتُ أَحْفَظُ هٰذَا ٱلْكِتَابَ فِي مُدَّةِ صِبَايَ. قَالَ: فَتَبَسَّمْتُ مِنْ قَوْلِهِ فَلَمَّا رَأَى تَبَسُّمِي. قَالَ: يَا بُنَيَّ أَمْسِكْ عَلَيَّ. قَالَ: فَأَمْسَكْتُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقْرَأُ. فَوَٱللهِ إِنْ أَخْطَأَ وَاوًا وَلَا فَاءً قَرَأَ هٰكَذَا نَحْوًا مِنْ كُرَّاسَتَيْنِ (كُرَّاسَيْنِ). ثُمَّ أَخَذْتُ لَهُ فِي وَسَطِ ٱلسِّفْرِ وَآخِرِهِ فَرَأَيْتُ حِفْظَهُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً فَٱشْتَدَّ عَجَبِي وَقُمْتُ مُسْرِعًا حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَأَخْبَرْتُهُ بِٱلْخَبَرِ وَوَصَفْتُ لَهُ ٱلرَّجُلَ. فَقَامَ كَمَا هُوَ مِنْ فَوْرِهِ وَكَانَ مُلْتَفًّا بِرِدَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ. وَخَرَجَ حَاسِرَ ٱلرَّأْسِ حَافِيَ ٱلْقَدَمَيْنِ لَا يَرْفُقُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُوسِعُنِي لَوْمًا حَتَّى تَرَامَى عَلَى ٱلرَّجُلِ وَعَانَقَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ ٱعْذِرْنِي فَوَٱللهِ مَا أَعْلَمَنِي هٰذَا ٱلْخَلْفُ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ وَجَعَلَ يَسُبُّنِي وَٱلرَّجُلُ يُخَفِّضُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: مَا عَرَفَنِي. وَأَبِي يَقُولُ: هَبْهُ مَا عَرَفَكَ فَمَا عُذْرُهُ فِي حُسْنِ ٱلْأَدَبِ. ثُمَّ أَدْخَلَهُ ٱلدَّارَ وَأَكْرَمَ مَجْلِسَهُ وَخَلَا بِهِ فَتَحَدَّثَا طَوِيلًا. ثُمَّ خَرَجَ ٱلرَّجُلُ وَأَبِي بَيْنَ يَدَيْهِ حَافِيًا حَتَّى بَلَغَ ٱلْبَابَ. وَأَمَرَ بِدَابَّتِهِ ٱلَّتِي يَرْكَبُهَا فَأُسْرِجَتْ وَحَلَفَ عَلَيْهِ لَيَرْكَبَنَّهَا ثُمَّ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا. فَلَمَّا ٱنْفَصَلَ قُلْتُ لِأَبِي: مَنْ هٰذَا

ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي عَظَّمْتَهُ هٰذَا ٱلتَّعْظِيمَ. قَالَ لِي: ٱسْكُتْ وَيْحَكَ. هٰذَا أَدِيبُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَإِمَامُهَا وَسَيِّدُهَا فِي عِلْمِ ٱلْآدَابِ. هٰذَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ ٱلْمَجِيدِ بْنُ عَبْدُونَ. أَيْسَرُ مَحْفُوظَاتِهِ كِتَابُ ٱلْأَغَانِيِّ وَمَا حِفْظُهُ فِي ذَكَاءِ خَاطِرِهِ وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ (محيي الدين المرّاكشي)

فِي وَضْعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعِهِ وَٱلِٱصْطِفَاءِ بَعْدَ ٱلْخِبْرَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ ٱضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ ٱلَّذِي يَضَعُ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو ٱلشُّكْرَ عَلَيْهِ. قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ ٱلْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمَ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ. وَلٰكِنْ مِنَ ٱلنَّاسِ ٱلْبَرُّ وَٱلْفَاجِرُ. وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلسِّبَاعِ وَٱلطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمَةٍ وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ. وَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَى ذَوِي ٱلْعَقْلِ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ مَوَاضِعَهُ وَلَا يُضِيعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ وَلَا يَصْطَفُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ ٱلْخِبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَٱلْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذٰلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِفْدَهُمْ لِلْبَعِيدِ إِذَا كَانَ يَفِيهِمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ. لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفًا بِحَقِّ مَا ٱصْطُنِعَ إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ مَحْمُودًا بِٱلنُّصْحِ مَعْرُوفًا بِٱلْخَيْرِ صَدُوقًا عَارِفًا مُؤْثِرًا لِحَمِيدِ ٱلْفِعَالِ وَٱلْقَوْلِ. وَكَذٰلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِٱلْخِصَالِ ٱلْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا وَلِتَقْرِيبِهِ وَٱصْطِنَاعِهِ

أَهْلًا . فَإِنَّ ٱلطَّبِيبَ ٱلرَّفِيقَ ٱلْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاوَاةِ ٱلْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ وَٱلْجَسِّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ . فَإِذَا عَرَفَ ذَٰلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاوَاتِهِ . فَكَذَٰلِكَ ٱلْعَاقِلُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا يَسْتَخْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْخِبْرَةِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَشْهُورِ ٱلْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ ٱخْتِبَارٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَٰلِكَ وَمُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكٍ وَفَسَادٍ . وَمَعَ ذَٰلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْمَعْرُوفَ مَعَ ٱلضَّعِيفِ ٱلَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَٰلِكَ وَيُكَافِئُهُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ ٱلْمُكَافَأَةِ . وَرُبَّمَا تَحَذَّرَ ٱلْعَاقِلُ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ . وَقَدْ يَأْخُذُ ٱبْنَ عِرْسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كُمِّهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ ٱلْأُخْرَى كَٱلَّذِي يَحْمِلُ ٱلطَّائِرَ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا ٱنْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي ٱلْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا مِنَ ٱلْبَهَائِمِ وَلٰكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ وَقَدْ مَضَتْ فِي ذَٰلِكَ أَمْثَالٌ ضَرَبَهَا ٱلْحُكَمَاءُ (كليلة ودمنة)

ٱلْحَيَّةُ وَٱلْإِنْسَانُ

ذُكِرَ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ ٱلْأَكْيَاسِ طَلَبَ ٱلْعُزْلَةَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَلَازَمَ ٱنْقِطَاعَهُ وَٱنْقَطَعَ عَنِ ٱلْجُمُعَةِ وَٱلْجَمَاعَةِ . وَٱشْتَغَلَ لِإِقَامَةِ أَوَدِهِ بِٱلزِّرَاعَةِ . وَٱنْعَزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ . وَصَاحَبَ حَيَّةً كَانَتْ تَأْنَسُ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ . وَتَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ . فَتَرَقَّتْ بَيْنَهُمَا ٱلْمُعَاهَدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ إِلَى ٱلْمُعَاقَدَةِ . بِأَنْ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ ٱلْمُمَاذَقَةِ . وَلَا تَكُونَ كَصُحْبَةِ أَبْنَاءِ ٱلزَّمَانِ . تَكْرَعُ مِنَ ٱلْغَدْرِ فِي غُدْرَانٍ . وَلَا مَشُوبَةً بِنِفَاقٍ . وَلَا

مَدْخُولَةً بِرِئَاءٍ وَشِقَاقٍ . وَأَنْ تَنْعَقِدَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوَدَّةُ وَٱلْإِخَاءُ . فِي حَالَتِي ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ . فَمَرَّا عَلَى هٰذَا مُدَّةً وَكُلٌّ حَافِظٌ عَهْدَهُ مُرَاعٍ صُحْبَتَهُ وَوِدَّهُ. وَكَانَ ٱلرَّجُلُ إِذَا عَنَّتْ لَهُ قَضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى ٱلْحَيَّةِ وَٱسْتَشَارَهَا وَأَخَذَ أَخْبَارَهَا . وَتَخْرُجُ هِيَ إِلَيْهِ . وَتَتَرَامَى عَلَى رِجْلَيْهِ . فَفِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ . وَعَامٍ مِنَ ٱلْأَعْوَامِ . وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ . وَثَلْجٌ وَجَلِيدٌ . فَرَأَى ٱلْحَيَّةَ وَقَدْ سَقَطَتْ قُوَاهَا . وَخَمَدَتْ أَعْضَاهَا . وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ . وَبَرْدٍ وَوَبَالٍ . فَحَمَلَتْهُ ٱلشَّفَقَةُ وَٱلصَّدَاقَةُ وَٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي أَحْكَمَا وِثَاقَهُ عَلَى أَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مِخْلَاةِ حِمَارِهِ وَأَدْنَاهَا وَوَضَعَ ٱلْمِخْلَاةَ فِي رَأْسِ ٱلْبَهِيمِ . وَتَوَجَّهَ لِضَرُورَةِ ذٰلِكَ ٱلْفَهِيمِ . فَحَسَّتِ ٱلْحَيَّةُ بِنَفَسِ أَبِي زِيَادٍ . وَتَحَرَّكَ عِرْقُ ٱلْعُدْوَانِ ٱلْقَدِيمِ . وَعَادَ . وَفَعَلَ خُبْثُهَا خَاصِّيَّتَهُ ٱلْمَأْلُوفَةَ . وَلَعِبَ سُمُّهَا سُمِّيَّتَهُ ٱلْمَعْرُوفَةَ . مُتَبِعًا حَدِيثَهُ . حَرَامٌ عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱلْخَبِيثَةِ . أَنْ تَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا حَتَّى تُسِيءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا . فَعَضَّتِ ٱلْحَيَّةُ شَفَةَ ٱلْحِمَارِ وَبَرَدَ مَكَانَهُ مِنْ حَرِّهَا . وَهَرَبَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا يَا ذَوِي ٱلْإِفْضَالِ أَنَّ مَنْ صَحِبَ ٱلْأَشْرَارَ . وَرَغِبَ فِي مَوَدَّةِ ٱلْفُجَّارِ . لَا يَأْمَنُ ٱلْعِثَارَ . وَلَا يَسْلَمُ مِنَ ٱلْأَنْكَادِ وَٱلْبَوَارِ (فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

كِسْرَى وَٱلْمُتَحَاكِمَانِ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ ٱلْمُلُوكِ قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا ٱشْتَرَى دَارًا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ ٱلْمُشْتَرِي فِيهَا كَنْزًا فَمَضَى إِلَى ٱلْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْبَائِعُ : إِنَّمَا بِعْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَنْزًا وَإِنْ كَانَ فِيهَا كَنْزٌ فَهُوَ لَكَ . فَقَالَ ٱلْمُشْتَرِي : لَا بُدَّ أَنْ تَأْخُذَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيمَا

اشْتَرَيْتُ . فَطَالَ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَاكَمَا إِلَى الْمَلِكِ كِسْرَى . فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ أَمْرَ الْكَنْزِ أَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : هَلْ لَكُمَا أَوْلَادٌ . فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا : أَنْفِقَا ذٰلِكَ الْكَنْزَ فِي مَصَالِحِهِمْ . فَفَعَلَا ذٰلِكَ (للقليوبي)

الْمَجُوسِيَّانِ وَالنَّارُ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ مَجُوسِيَّانِ يَعْبُدَانِ النَّارَ . فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ الْأَكْبَرِ : أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّكَ عَبَدْتَ هٰذِهِ النَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَعَالَ نَنْظُرُ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهَا . فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا عَبَدْنَاهَا وَإِلَّا فَلَا . فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ : هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا قَبْلَكَ . فَقَالَ لَهُ : ضَعْ أَنْتَ فَوَضَعَ الْأَصْغَرُ يَدَهُ فَحَرَقَتْ إِصْبَعَهُ فَنَزَعَ يَدَهُ وَقَالَ : آهِ أَعْبُدُكِ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتِ تُؤْذِينِي ثُمَّ قَالَ : يَا أَخِي تَعَالَ نَعْبُدُ مَنْ لَوْ أَذْنَبْنَا وَتَرَكْنَاهُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتِغْفَارِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ . فَأَجَابَهُ أَخُوهُ إِلَى ذٰلِكَ (للقليوبي)

فِي حِيلَةِ قَائِدِ جَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِ طَبَرِسْتَانَ . فَبَذَلَ الطَّبَرِيُّ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ ذٰلِكَ فَمَا أَمْكَنَهُ . فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا . فَعَلِمَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ الْجَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا بِغَيْضَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَتَرَكَهَا كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً . وَسَتَرَ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالتُّرَابِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ وَنَزَلُوا بِهَا

كَمَنَ ٱلطَّبَرِيُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَلْفَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ. وَشَدَّ ٱلْجَيْشُ دَوَابَّهُمْ فِي أَشْجَارِ تِلْكَ ٱلْغَيْضَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً. فَخَرَجَ عَلَيْهِمِ ٱلطَّبَرِيُّ بِأَصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ فَنَفَرَتِ ٱلدَّوَابُّ وَتَسَاقَطَتِ ٱلْأَشْجَارُ لِأَنَّ ٱلدَّوَابَّ جَرَّتْهَا. فَوَلَّى ٱلْجُنْدُ هَارِبِينَ فَزِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ ٱلطَّبَرِيُّ بِٱلْقَتْلِ وَٱلْأَسْرِ فَنَجَا أَقَلُّهُمْ وَتَلِفَ أَكْثَرُهُمْ. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى ٱلسُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالُوا: نَزَلْنَا بِٱلْمَوْضِعِ ٱلْفُلَانِيِّ وَأَتَانَا فِي جُنْحِ ٱللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ ٱلشَّيَاطِينِ تَضْرِبُنَا بِٱلْأَشْجَارِ ٱلطَّوِيلَةِ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُتَقَوِّمِينَ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْمَشْيَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ (للقزويني)

فِي ٱلصَّبْرِ وَٱلْمُرُوءَةِ

يُرْوَى عَنْ بَعْضِ ٱلْكُرَمَاءِ أَنَّهُ ٱسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ. وَعَمِلَ لَهُمْ سَمَاعًا. وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ ٱلنَّاسِ وَجْهًا وَأَكْمَلِهِمْ ظَرْفًا وَأَتَمِّهِمْ أَدَبًا وَلُطْفًا. فَكَانَ فِي أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ يَخْدُمُ ٱلْجَمَاعَةَ وَيُؤَانِسُهُمْ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي ٱلدَّارِ فَوَقَعَ مَيْتًا. فَأَرَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ يُظْهِرْنَ ٱلْبُكَاءَ عَلَيْهِ. فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهِنَّ. وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ حَتَّى يَنْصَرِفَ ٱلْقَوْمُ. فَإِنَّ ذٰلِكَ يُنَغِّصُ عَلَيْهِمْ عُرْسَهُمْ وَلَذَّتَهُ. فَٱمْتَثَلُوا مَا أَشَارَ بِهِ. وَعَادَ إِلَى ٱلْقَوْمِ فَحَضَرَ ٱلسَّمَاعَ وَأَظْهَرَ ٱلْمَسَرَّةَ وَٱلْأُنْسَ بِهِمْ. فَجَعَلَ ٱلْجَمَاعَةُ يَتَفَقَّدُونَ ٱلشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ. فَيَقُولُ وَالِدُهُ: لَعَلَّهُ قَدْ نَامَ. فَأَدْرَكَهُمُ ٱللَّيْلُ. وَبَاتُوا فِي ٱلسَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَارَ مِنْ قَضَاءِ ٱللهِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَدَّمَ لَهُمُ ٱلْغَدَاءَ فَأَكَلُوا وَأَرَادُوا ٱلِٱنْصِرَافَ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَحْضُرُونَ جِنَازَةَ وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ ٱلْبَارِحَةَ. وَقَصَّ عَلَيْهِمِ ٱلْقِصَّةَ. فَلَمْ

يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱسْتَعْظَمَ مُرُوءَتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِجَمِيلِ صَبْرِهِ وَعِظَمِ كَرَمِهِ (تزيين الاسواق)

مَوْتُ ٱلْمُتَنَبِّي

قِيلَ إِنَّ أَبَا ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى بَغْدَادَ بِجَائِزَةٍ أَجَازَهُ بِهَا عَضُدُ ٱلدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ. فَخَرَجَ عَلَيْهِ قُطَّاعُ ٱلطَّرِيقِ فَهَرَبَ ٱلْمُتَنَبِّي مِنْهُمْ. فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: أَتَهْرُبُ وَأَنْتَ ٱلْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ:

أَلْخَيْلُ وَٱللَّيْلُ وَٱلْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَٱلضَّرْبُ وَٱلْحَرْبُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ

فَكَرَّ رَاجِعًا فَقُتِلَ فِي سَنَةِ ٣٥٤ فَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتُ سَبَبًا لِقَتْلِهِ (للقليوبي)

أَلْحَرِيرِيُّ وَٱلْغُلَامُ

يُحْكَى عَنِ ٱلْحَرِيرِيِّ أَنَّهُ كَانَ بَشِعَ ٱلْمَنْظَرِ رَثَّ ٱلْهَيْئَةِ. فَجَلَسَ غُلَامُهُ يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ وَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ ٱلنَّظْمَ فَأَوَّلُ مَا نَظَمَ نِصْفُ بَيْتٍ وَهُوَ: وَجْهُ ٱلْحَرِيرِيِّ وَجْهُ قِرْدٍ. فَسَمِعَهُ ٱلْحَرِيرِيُّ فَقَالَ: وَٱلضَّرُورَةُ أَحْوَجَتْنَا إِلَيْهِ. فَخَجِلَ ٱلْغُلَامُ مِنْ سَيِّدِهِ وَسَكَتَ. ثُمَّ ٱجْتَمَعَ ٱلْحَرِيرِيُّ مَعَ ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ تَصْبِرْ حَتَّى يُكَمِّلَهُ. فَقَالَ: رَأَيْتُهُ ٱفْتَتَحَنِي بِقِرْدٍ فَخَشِيتُ أَنْ يُكَمِّلَنِي بِكَلْبٍ فَكَمَّلْتُهُ لَهُ (للسراجي)

فهرسة

الجزء الاول

من امثال لقمان الحكيم

نخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة وليلة

حكاية ملاك الموت

نخبٌ

مما كتبهُ بعض العلماء في الجود والكرم والمكافأة وغير ذلك